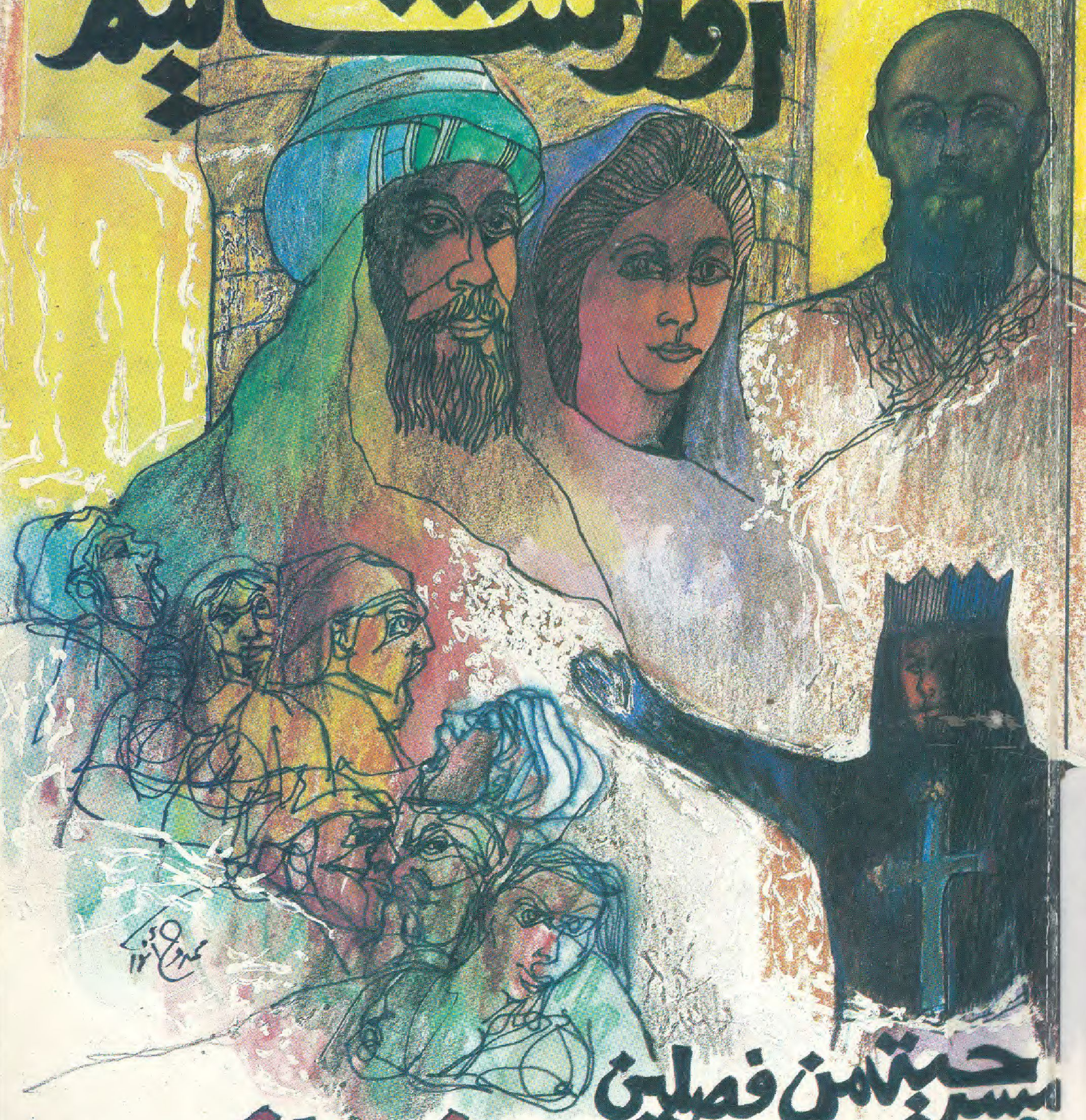


لن: مسقط رأس



محمد
١٤٥٠

مسقط رأس من فصلين
تأليف: شريف الشوباشي

لن تسقط

أورشليم

(مسرحية من فصلين)

تأليف : شريف الشوباشي

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

شكر واجب

أتوجه بالشكر العميق لكل من ساهم في أن يخرج هذا العمل إلى حيز النور سواء بالرأى أو النصيح أو التشجيع وعلى رأسهم الأستاذ أحمد عبد المعطى حجازى والدكتور غالى شكرى والأستاذ محمد سلماوى والأستاذ سمير غريب وفريدة وعلى الشوباشى وعصام المغربى والدكتور أحمد يوسف والأستاذ محمود القيعى والأستاذان فتحى الشرقاوى وهانى طلبية .

كما أشكر من صميم القلب أصحاب المؤلفات التى أتاحت لى كتابة هذه المسرحية مع الالتزام بالأحداث التاريخية وبروح العصر وعلى رأسهم الأستاذ أمين المعلوف وابن الأثير وابن القلانسى والمغفور لهما الأستاذان أحمد أمين وأحمد حسين والدكتور حسين مؤنس والأستاذ محمد عثمان الخشت والدوق دى كاسترى وفرانشيسكو جابريلى وجورج تيت .

المؤلف

الشخصيات :

افتخار الدولة : قائد حامية القدس الفاطمي (في بداية الأربعينات)

هند : محظية افتخار الدولة (٢٠ عاماً)

عبد الرحمن

فرسان فاطميون

الجرجاني

على

حسان

العراف

مبعوث الأفضل شاهنشاه أمير جيوش الدولة الفاطمية

مبعوث سان جيل أحد قادة الفرنجة

أبو سعد الهروي : قاضي قضاة دمشق (في منتصف

الأربعينات)

أم الحكم : زوجة الهروي

أم مروان : شقيقة الهروي

سفيان : قائد الحرس أمام قصر الخليفة العباسي

قائد الحرس أمام المسجد

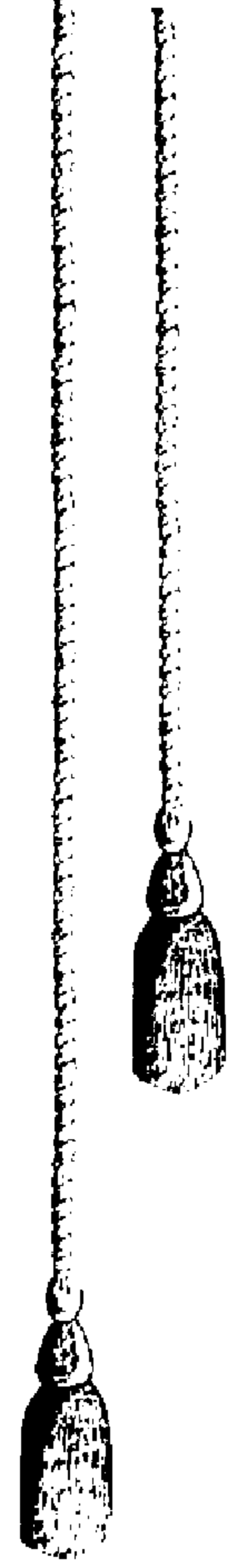
جلال الدين : عم الخليفة المستظهر بالله
وزير الخليفة

القاضي الدامغاني : قاضي بغداد
الشيخ سليمان : كبير تجار بغداد
المستظهر بالله : الخليفة العباسي (٢٢ عاماً)
ساكن القدس :

رجل أول .. رجل ثاني .. رجل ثالث .. رجل رابع
امرأة أولى .. امرأة ثانية .. امرأة ثالثة
ساكن انطاكية

ساكن معرة النعمان
ساكن حصن الأكراد





الفصل الأول

المشهد الأول

(تقع أحداث هذه المسرحية عام ٤٩٢ هجرى
الموافق لعام ١٠٩٩ بالتقويم الميلادى . يرفع الستار
على مشهد مدينة القدس عن بعد مع أول أضواء الفجر
ومعالم المسجد الأقصى وقبة الصخرة ترسم فى الأفق
البعيد . خيالات رجال ونساء فى أوضاع مختلفة
واقفون أو جالسون دون أن نرى وجوههم بوضوح) .
الكورس : يا أيتها الأقدار كونى رحيمة بنا ..
يا رب العالمين قنا عذاب القتل والسبى فانت أرحم
الراحمين .. أنقذنا يا ربنا من سيوف الفرنجة التى
صاربت تحصد المسلمين فى كل مكان حتى وصلوا إلى
أبواب مدينتنا المقدسة .. احم مدينتنا يا رب العالمين
فهى التى بعثت منها إلى السماء برسولنا الحبيب
المصطفى فى ليلة الأسراء والمعراج .. ومنها رفعت
عيسى عليه السلام إلى ملكوتك الأعلى بعد أن تأمر
عليه المتآمرون .. ونحن سكان القدس نصلى من أجل
صمودها فى وجه الغزاة نوى الوجوه البيضاء الكالحة
واللحي الصفراء . فصيحاتهم تخرق آذاننا منذ أربعين
يوما من وراء أسوار مدينتنا .. يقولون : ستسقط
أورشليم فى أيدينا .. لكن امراءنا طمأنونا .. يقولون :
لن يسقط بيت المقدس .. نعم .. لن تسقط أورشليم .

المشهد الثانى

(أول أشعة الفجر بدأت تضىء المدينة بمطلع يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩ . حجرة واسعة بها « طاقة » زجاجية كبيرة تطل فى عمق المسرح على مدينة القدس . نور الفجر يظهر شيئاً فشيئاً وعندما يبدأ العرض تكون الحجرة فى نصف ظلمة ثم تضاء تدريجياً . فارس واقف أمام الطاقة يتأمل باهتمام الأفق البعيد . يدخل عليه فارس آخر) .

عبد الرحمن : إلى ما تنظر يا جرجانى ؟ ألا زال يراودك أمل وصول جيش الأفضل شاهنشاه أمير جيوش الدولة الفاطمية لإنقاذنا مما نحن فيه ؟ أو وهم

جيش يأتى من بغداد يرسله الخليفة العباسى حامى حمى
الإسلام ؟

الجرجانى : أنه أملنا الوحيد .. فنحن لم نعد قادرين
على فك هذا الحصار بأنفسنا .

عبد الرحمن : ألا زلنا نتعلق بهذا الأمل الواهى
كما يتعلق الغريق بكل جوارحه بقشة تطفو على سطح
البحر وهو يعلم بعقله أنها عاجزة عن أن تحمله إلى بر
النجاة ؟ وفى كل يوم نقف فى أعلي هذا البرج ساعات
وساعات نحدق فى الأفق البعيد أملين أن نرى أقل
عفرة غبار تنبؤنا باقتراب جيش الانتقاذ .. أربعون يوما
مرت متناقلة كأنها أربعون قرنا من الزمان ولم تظهر
فى الأفق أية بادرة . مات الأمل فى عقولنا .. لكن
نفوسنا تتشبث بتصديق المستحيل .

الجرجانى : أتشك فى وصول جيش الأفضل
يا عبد الرحمن ؟ إنه فى الطريق ..

عبد الرحمن : لا أشك فى قدومه .. ولكن أتعلم
متى سيأتى ؟ عندما تكون القدس بين أيدي الفرنجة
ونكون نحن فى عداد الأموات .

الجرجانى : لا تقل هذا يا رجل ..

عبد الرحمن : كيف لا أقول هذا وقد تجمعت
جيوش الفرنجة أمام أسوار المدينة لشن الهجوم

الأخير . ولم يعد هناك مكان حصين يمكن أن يصمد
بعض الوقت غير هذا البرج الذى نحن فيه .. محراب
داود .. لكن يبدو أن مزاجنا يدفعنا إلى إثارة التحليق
فى الأوهام بدلا من مجابهة الواقع وإلى التفاؤل الأحمق
بدلا عن الحقيقة العارية عن التجميل .

الجرجاني : المعركة لم تنته بعد . تجلد
يا صاحبى . قواتنا لا زالت كما هى ونحن على
استعداد للقتال . تجلد يا عبد الرحمن .

عبد الرحمن : لست خائفا .. طوال حياتى لم
أعرف إلا الحرب والقتال . وكم ترقبت هجوم الأعداء
فى أحلك الظروف دون أن يطرف لى رمش .. وأنا
اليوم على أتم استعداد لأن أواجه مصيرى . وقل لن
يصيبنا إلا ماكتب الله لنا ..

الجرجاني : صدق الله العظيم .. والله لن يكتب لنا
إلا النصر بآذنه تبارك وتعالى وسنجهز على أعداء الله
وينفك هذا الحصار وسيفرون أمامنا كالقثران .

عبد الرحمن : لست واثقا من ذلك .. أكتب لنا
النصر ونحن فى هذه الغيوبة .. أكتب لنا النصر
ولا هم لنا إلا أن نتقاتل فيما بيننا ؟ إن أمراءنا ، إحقاقا
للحق ، لم يتقاعسوا عن بذل الجهود .. لكن أتدرى

ما جهودهم ؟ إنها تنصب على الإيذاء بالأمير العربى
المعادى وبالجار المسلم المنافس .. وبدلاً من أن
يتكاتفوا لمواجهة الخطر الذى يهدد أمتنا كلها وصد
هجوم الفرنجة الزاحف فى اتجاه بيت المقدس فإن هم
كل واحد منهم هو كيف يستفيد من الغزو الصليبي
لتحقيق مصالحه وإضعاف جاره .

الجرجاني : كلامك يبعث على اليأس يا رجل ؟
ونحن الآن فى حاجة إلى نفحة من الأمل .

عبد الرحمن : الأمل يبدأ من إدراك الواقع على
مرارته ثم السعى إلى تغييره . أم أنك تفضل من يكذب
عليك ويجعلك تسبح فى عالم الأوهام ؟

الجرجاني : لا .. ولكن قل كلمة طيبة على الصباح
وإلا فوفر كلامك الذى أثلج الدماء فى عروقى قبل أن
يبدأ اليوم .

عبد الرحمن : حسناً .. اطمئن يا جرجاني .. لن
تمر ساعات قليلة إلا ونسمع صيحات الذعر تنبعث من
معسكرات الفرنجة عندما ينقض عليهم جيش الأفضل
فنخرج من وراء أسوار أورشاليم ويسقط الفرنجة فى
كماشة محكمة بيننا وبين رجال الأفضل فننزل فيهم
نبحاً وضرباً حتى نجهز عليهم قبل غروب الشمس .

الجرجاني : أتسخر مني يا عبد الرحمن ؟ ما الذي

أصابك ؟ وما الذي تقصده بهذا الكلام الغريب ؟
عبد الرحمن : ما أقصده واضح وأنت تعرفه
مثلي .. لكنك ترفض أن تراه . أنت تعرف يا جرجاني
أن أمراء السلاجقة الذين يحكمون الشام يخطبون ودَّ
الفرنجة جهارا نهارا ويتعاملون معهم دون مواربة .
وقد وصل الأمر بجناح الدولة ، حاكم حمص ، أن
أرسل إلى القائد الأفرنجي سان جيل هدايا من بينها عدد
كبير من الخيول بعد أن أكد رسله للفرنجة أن أميرهم
قد سمع أن الخيول تنقصهم . وحصن الأكراد الذي
اتخذه الفرنجة مقرا لهم صار مزارا للسفراء العرب
يهرولون إليه من قبل أمرائهم كل يعرض خدماته ربما
ليس خوفا من الفرنجة بقدر ما هو اتقاء لشرهم من أجل
التفرغ لمحاربة اخوانهم العرب والمسلمين .

الجرجاني : أعلم كل هذا كما تعلمه أنت . وأعلم أن
القاضي جلال الملك صاحب طرابلس قد أرسل للفرنجة
مرشدين من رجاله ليدلوهم على الطريق الساحلى
المؤدى إلى بيروت عندما شعر أنهم يبطئون الخطى
أمام مدينته وخاف أن يكون ذلك تحسبا لغزوها .

عبد الرحمن : وفيه تجادل إذن ؟

الجرجاني : أقول أننا جنود .. مهمتنا الحرب
والقتال وليست توجيه اللوم لقادتنا وانتقاد تصرفاتهم .
فهم أقدر منا على اتخاذ المواقف الصالحة لبلادنا
وللإسلام . وقد أعزنا الله بقيادة من أفضل طراز .

عبد الرحمن : ربما .. ولكن نحن قوم نتقن في
إفساد قادتنا .. فشعراؤنا ، وهم ضمير الأمة وصوتها
المسموع ، يتسابقون في مدح الخلفاء والأمراء والحكام
من أجل الحصول على الأموال والمنافع . فطاحل
الشعر كرسوا أهم قصائدهم للمديح والإطراء . خذ
المتنبى فارس العربية وساحر البيان ، ألم تكن معظم
قصائده في مدح سيف الدولة وبدر بن عمار
وغيرهما . ألم يقل في كافور :

فأصبح فوق العالمين يرويه
وإن كان يدينه التكرم نائيا
ثم عاد وهجاه بأقذع هجاء حين لم يستجب
الأخشيدي لمطالبة . وأبو تمام والبحري وغيرهم
وغيرهم ..

الجرجاني : وهل نذب الشعراء أن الحكام يحبون
الإطراء ويطربون للمديح ؟ لا تكن مثاليًا
يا عبد الرحمن .. فالشعراء والعلماء ليس أمامهم

خيار .. إما أن يعيشوا في كنف الأمراء أو يموتون
جوعاً . فكل من عفت نفسه وأبتعد عن بلاط أولى
الأمر عاش في فقر مدقع . عندك ابن الرومي مثلاً ،
كان يكاد لا يجد قوت يومه . والعالم العظيم أبو حيان
التوحيدى أتعلم أنه كان يأكل الحشائش في الصحراء
من شدة الجوع لأنه كان يرفض التذلل للأمراء
واستعطاف جانبهم ؟ والفارابى أبو الفلسفة كان يعمل
ناطورا بالحدائق ويعيش على الكفاف لبعده عن
القصور . من الظلم أن تتهم الجميع دون تمييز بالتملق
والرياء .

عبد الرحمن : هذا صحيح .. معك حق .. وأنا لم
أقصد أن أتهمهم جميعاً .. لكن أیصل بنا الهوان إلى
درجة تأليه الحكام وإسباغ صفات الألوهية على
أشخاصهم .

الجرجاني : لا تبالغ يا عبد الرحمن .. من الذى
أله من ؟

عبد الرحمن : ألم تسمع عن ابن هانئ الأندلسى
الذى قال فى المعز لدين الله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فاحكم فانت الواحد القهار

الجرجاني : أستغفر الله .. أجتنت يا رجل ؟ ماذا
تقول ؟ أن ما نطقت به كفر بين . أعوذ بالله . أتنتعت
بشرا بصفات الله عز وجل ؟

عبد الرحمن : أنا لم أقل شيئا من عندى .. فهذا
شعر معروف لشاعر كان ملء الأسماع والأبصار فى
أول الدولة الفاطمية .

الجرجاني : لكن هذا البيت وحده يكفى لقطع رقبة
صاحبه .

عبد الرحمن : أنت تقول هذا .. لكن أتدرى ماذا
فعل المعز عندما أستمع إلى قصيدة المدح التى بها هذا
البيت ؟ أبدى استحسانه التام ثم أجزل العطاء لابن
هانيء . هذا هو حالنا يا صاحبنى .. أليس من الطبيعى
بعد ذلك أن يتبارى الآخرون فى المديح والتبجيل
والتأليه استرضاء للخليفة ومحاولة لكسب رضاه ..
وتريد بعد ذلك أن تنتصر على الفرنجة ؟
الجرجاني : ولكن ..

عبد الرحمن : لا تدافع يا صاحبنى فنحن فى الهم
سواء .. ومصيرنا فى النهاية سيكون واحدا .
(يدخل أحد الفرسان)

حسان : السلام عليكم .. لقد استيقظ مولانا منذ قليل

وهو فى طريقة إلى هنا ليطلع منا على آخر الأنباء .
عبد الرحمن : استيقظ .. ولماذا يترك أحضان
محظيته الجميلة فى هذه الساعة المبكرة ؟ لازل اليوم
طويلا ..

حسان : انتهمك على قائدنا يا عبد الرحمن ؟ ألم
تقلع عن عادة الانتقاد المستمر لكل شىء ؟
عبد الرحمن : لا أنتقد .. لكنى على عكسكم
يا حسان أرى الواقع أمامى دون تجميل . ان افتخار
الدولة يقضى معظم وقته مع معشوقته الحسناء أليس
كذلك ؟

حسان : وما العيب فى هذا ؟
الجرجاني : من حقه أن يتسرى .. ماذا تريده أن
يفعل ؟

عبد الرحمن : ما أريده أن يفعل ؟ أن يبقى بين
رجالہ .. يقتسم حياتهم وهمومهم وأن يدخل الطمأنينة
فى قلوب المحاربين والحمية فى نفوسهم . فالرجال
أهتزت عزائمهم وفقدوا كل قدرة معنوية على القتال
وهم فى أمس الحاجة إلى من يقتلع نار القلق والشك من
نفوسهم ويغرس مكانها الأمل والعزيمة .

حسان : اتركه وحاله يا أخى .. الا تتسرى أنت

كما نفعل جميعا ؟ فلماذا تستكثر عليه ما نفعله نحن ؟
الجرجاني : ثم أن المرأة التي أختارها تستحق
التفرغ حقا .. ما أروعها .. ان هند هذه من أجمل من
رأيت من النساء في حياتي وأشك أن يقع بصرى على
أجمل منها . بصراحة أنا أعذره لو نسي الحصار
والفرنجة والدنيا كلها في أحضانها الناعمة .

عبد الرحمن : حقا .. أنها فعلا حسناء .. لكنها
أكثر من هذا .. أنها تتمتع بشخصية صلبة وهى التى
تحفز الرجال على المقاومة والاستبسال من أجل
الصمود للفرنجة . وقد سمعتها تقول أنها تفضل ملاقة
الموت هنا رافعة الرأس فى الأرض التى رأت فيها
نور الحياة بدلا من عار الفرار .

الجرجاني : (يطلق ضحكة استنكارية) : انه كلام
يا صاحبي .. كلام مدهون بالزبد يذوب عندما تحين
ساعة الجد .

عبد الرحمن : أعتقد أن

(أحد الحراس يدخل مسرعا)

الحارس : مولاي القائد افتخار الدولة .

(يدخل افتخار الدولة ومعه على وفارس آخر

وأحد الحرس)

افتخار الدولة : السلام عليكم أيها الفرسان .
(عبد الرحمن والجرجاني وحسان) : عليكم
السلام ورحمة الله وبركاته .

افتخار الدولة : ما آخر الأنباء .
على : ليست سارة يا مولاي .. لقد توغل الفرنجة
مع أول أشعة الشمس إلى حافة أسوارنا الشمالية
ونجحوا في ردم جزء كبير من الخندق الذي حفرناه
أمام السور والقتال يدور الآن بشراسة بين جنودنا
والفرنجة . لكن برجهم الخشبي المتحرك اقترب
بصورة مقلقة للغاية من أسوار المدينة .

افتخار الدولة : من أية جهة بالتحديد ؟
حسان : من جهة باب العامود على بعد مرمى حجر
من برج اللقلق .

على : لكن جنودنا يقاتلون ببسالة نادرة .
حسان : ومع أن السلاح والعتاد الذي بين أيدي
الفرنجة لا قبل لهم به إلا أنهم صامدون لهجمات العدو
المتوالية .

على : إنما الموقف الآن يا مولاي أصبح أكثر
حرجا من أى لحظة ماضية .

افتخار الدولة : أريد معلومات مفصلة عن

مواقعهم . أريد أن أعرف بالضبط مواقف جيوشهم
الخمسـة التي تحاصر أورشاليم من الشمال والغرب
والجنوب وخاصة جيش سان جيل الذي يواجه محراب
داود .

على : نعم يا مولاي .
عبد الرحمن : أخشى أن يكون ذلك غير ذي
جدوى الآن ..

أفتخار الدولة : ماذا تقصد ؟
عبد الرحمن : المسألة مسألة دقائق . ولم يعد هناك
وقت لجمع المعلومات . علينا أن نتحرك ولا نترك
المبادرة بين أيدي أعدائنا .

الجرجاني : وماذا تريدنا أن نفعل ؟
على : أملنا الوحيد الآن هو أن نصمد في هذا البرج
حتى يأتي الفرج . ولو غامرنا بالخروج منه فسنلاقي
حتفنا على أيدي الفرنجة بأسرع مما تتخيل .
أفتخار الدولة : أنت تهذى يا عبد الرحمن يبدو
أنك فقدت أعصابك ولم تعد تتحمل الموقف .

عبد الرحمن : كيف تقول هذا أيها الأمير ؟ أنت
أكثر من تعرفني في هذا المكان وسبق أن حاربت إلى
جوارك وكتفي في كتفك وواجهنا مواقف يرتعد فيها
أشد الرجال بأسا فلم أفقد أعصابي كما تقول .. لا تقل

مثل هذا فأنت تعلم أن كلامك غير صحيح . إنما الوضع الآن لا يحتمل تبادل الاتهامات .

افتخار الدولة : وهل يحتمل الوضع الآن الجدل

والسفسطة ؟ اذهب يا عبد الرحمن مع زملائك إلى موقع القتال وحاول أن تعرف ما يحدث بالضبط بدلا من الفتاوى التي لا تجدى .

(يتحرك عبد الرحمن ببطء بعد لحظة تردد ثم يخرج ومعه حسان) .

افتخار الدولة : لا أدري لماذا أشعر بانقباض في القلب منذ أن أفقت من النوم هذا الصباح .. أظن أنتى لم أنم أكثر من ساعة واحدة شعرت خلالها أن حجرا ضخما يجثم فوق صدرى . وعندما أفقت بعد حلم مزعج .. مزعج للغاية .. أحسست باختناق أنفاسى ووجدت العرق يتصبب من وجهى . لا أدري أن كان هذا نذيرا بالنهاية .

على : لا تقل هذا يا مولاي .. أنها ضغوط الموقف الذى نحن فيه .. فمنذ أربعين يوما تتحمل وحدك أعباء حملة الفرنجة ونسمع صيحاتهم التي تشبه أصوات الحيوانات المفترسة . وفى كل يوم بل فى كل لحظة تهفو قلوبنا انتظارا للفرج . انتظارا لجيش مولاي

الأفضل الذى سيخلصنا بإذن الله من الحصار اللعين ..
افتخار الدولة (هازئا) : جيش الأفضل ..

ألا زلتم تحلمون به .. أنه سراب .. أنه أسطورة ..
أعلموا أن الأفضل يسعده أن تلحق بى هزيمة نكراء هنا
فى بيت المقدس ثم يأتى هو بعد ذلك لانتقاذه فيصير
بذلك بطلا يتكره التاريخ وحاميا لحمى الإسلام .. فهو
يدرك تماما ما نحن فيه الآن .. وقد أرسلنى أنا بالذات
كى ألقى هذا المصير ..

الجرجاني : هل يعقل هذا يا مولاي ؟

على : ولماذا يفعل ذلك ؟

افتخار الدولة : ان ما يحلم به الأفضل من زمن
هو التخلص منى .. وقد لاحت له الفرصة الذهبية كى
يبعدنى عن طريقه .. فهو يعلم أننى اكفأ القادة
العسكريين وأشجعهم فى الدولة الفاطمية كلها .. ويعلم
مقدار شعبيتى وسط جيشه ذاته . وهو يعتقد أننى طامع
فى مكانه .. لذا أرسلنى إلى هنا وهو مدرك أنه يكلفنى
بمهمة مستحيلة التنفيذ .

الجرجاني : لكن أ يصل به الحد إلى الاسهام عمدا
فى إنزال الهزيمة بجيش الدولة الفاطمية ؟ ألا يعمل
حسابا لشعب مصر ؟

افتخار الدولة : شعب مصر .. وما علاقته بشعب مصر ؟ أنه أرمنى رماء الزمن البائس على ضفاف النيل فحكم هذا البلد الكبير فى غفلة من الزمان . صحيح أن أباه بدر الجمالى قد حقق انجازات لا بأس بها فى مصر لكن أين الابن من الأب رحمه الله .
على : حقا .. لقد كان مولانا بدر الجمالى معروفا بشجاعته .

افتخار الدولة : إنما الأفضل قد ورث عن أبيه دهاء الثعالب ولم يرث منه شجاعة الأسود . فالجمالى عندما استدعاه إلى مصر الخليفة المستنصر بالله من عكا ، التى كان واليا لها ، اختار أن يحضر من الشام فى قلب الشتاء .. وكانت الأمواج فى عرض البحر ترتفع كالجبال العاتية .. والسفينة كالورقة تتراقص فوق سطح الماء . وامتنعت وجوه الرجال من هول الموقف وخارت عزائمهم .. لكن الجمالى ظل ثابتا يصدر أوامره فى هدوء تام حتى وصلت السفينة إلى مرفأ الأمان بالاسكندرية فاستقبله الناس فيها استقبال الفاتحين . والله لو أن بدر الجمالى حى اليوم لما كنا فى هذه المحنة .

الرجائى : ندعو الله أن يهدى الأمير الأفضل .

فسقوط القدس هو هزيمة نكراء له قبل أن تكون هزيمة
لنا نحن المدافعين عنها .

افتخار الدولة : دعك من هذا المغرور
يا جرجاني . ولنفكر فيما نحن فيه الآن . أين
العراف ؟ استدعوه على الفور .. أريد أن أستشيرَه في
الكوابيس التي راودتني طوال ليلة أمس .
أحد الحراس : نعم يا مولاي .

(يخرج الحارس مسرعا) .

على : سأذهب مع الجرجاني ناحية باب اللقلاق
لنتعرف على الأوضاع ونتأكد من أن كل شيء يسير
حسب الخطة المتفق عليها .

**(يخرج على والجرجاني ويبقى افتخار الدولة
وحده) .**

افتخار الدولة : يا رب .. أياكون اليوم .. يوم
الجمعة الثاني والعشرين من شعبان عام ٤٩٢ بعد
هجرة سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام هو اليوم
المشئوم الذي يسقط فيه بيت المقدس بين أيدي الفرنجة
الكفرة ؟ وهل يكون سقوط بيت المقدس على أيدي
افتخار الدولة ؟ كم من المرات ألهمتني يا خالق
السموات والأرض لأقود رجالي إلى النصر وكان

أعدائي من بنى ديني وملتي فلماذا تتخلي عني اليوم
وأنا أواجه أعداء الإسلام ؟ هل أخذل أمة العرب
والمسلمين في لحظة هي أحوج ما تكون فيها إلى من
ينقذها من حالها البائس ؟ هل يكون مصيري أن أنهزم
في أهم معارك حياتي ؟ أ يكتب اسمي في سجل التاريخ
الحزين كما كتب اسم عبد الرحمن الغافقي الذي أنهزم
أمام الفرنجة في بلاط الشهداء بدلا من أن يكتب
بحروف من نور وسط أسماء من أعزوا الإسلام كخالد
ابن الوليد وعمرو بن العاص وموسى بن نصير ؟ لماذا
يا رب ؟ ان كنت قد أنذبت فاني أتوب إليك وألتمس
عفوك ومغفرتك يا رب العالمين . أخرجني من هذه
المحنة يا الهى وسأكون عبدا تائبا خضوعا إلى أن تدق
ساعتي .

(يدخل العراف) .

العراف : لبيك مولاي .. يبدو عليك الارهاق
الشديد .. أنت لم تنم جيدا هذه الليلة .
افتخار الدولة : صدقت يا رجل .. يا ليت كل
نبوءاتك بهذه الدقة .. لقد حلت حلما يحتاج إلى تفسير
منك .

العراف : خبرني يا سيدى ما هو ؟

افتخار الدولة : حلمت أننى أقف فوق جبل شاهق
الارتفاع ووجدت نفسى فجأة على حافته وانزلت قدمى
فتشبثت بطرف حجر فى اللحظة الأخيرة وأخذت أقاوم
السقوط فى الهاوية السحيقة التى كنت أراها تحت قدمى
وكانها هوة العدم ..
(بصمت قليلا) .

العراف : وماذا حدث ؟

افتخار الدولة : فى البداية أحكمت الامساك
بالحجر ثم بدأت مقاومتى تضعف شيئا فشيئا حتى
خارت قواى وكدت أترك جسدى يتهاوى فى الفضاء ..
ثم استيقظت وأنا فى حالة إعياء شديد وأشعر بالاختناق
وكانى غير قادر على التنفس .

العراف (يفكر قليلا قبل أن يبدأ فى الكلام) :
الشعور بالاختناق من طول الحصار وصعوبته على
نفسك بصفتك مسئولاً عن حماية بيت المقدس وفى
عنقك آمال العرب والمسلمين فى كل مكان .. أما
الهاوية فهى دليل فى الحلم على الاحساس بالخطر
وترقب سوء المصير لكنك تستيقظ وأنت لازلت ممسكا
بالحجر وهو طوق النجاة بالنسبة لك .. أليس كذلك ؟
افتخار الدولة : نعم .

العراف : وهذا تفسيره أن الحصار سينفك ولن يصيبك أى أذى وأن الجيش المنتظر سيصل قريبا بإذن الله .

افتخار الدولة (باهتمام شديد) : الجيش المنتظر سيصل قريبا ؟ متى ؟

العراف (ينظر فى كرة بيضاء أمامه ويطلق طويلاً ثم يقول) : خلال أيام قليلة بإذن الله ..
افتخار الدولة : لكننا لن نصمد لأيام قليلة . لقد وصل الفرنجة إلى أعتاب المدينة . أنظر جيدا يا رجل ..

العراف : التاريخ ليس واضحا أمامى بالضبط يا مولاي ..

افتخار الدولة : قلت انظر جيدا .
العراف : أنتظر .. نعم .. نعم أراه قادم .. أنه يقترب منا .. أنه جيش ضخم .. أرى خيولا وجمالاً محملة ومجانيق .. وطوفانا من الجنود .. أنه جيش سيدنا الأفضل ..

افتخار الدولة : متى يصل إلى أورشليم ؟

العراف : غدا بعون الله .

افتخار الدولة : غدا .. غدا .. ندعو الله أن تكون نبوءتك صحيحة .. فما أحوجنا اليوم إلى جيش

الخلاص لتتقلب الأمور ونأخذ نحن زمام مبادرة الهجوم على أعدائنا . لكم أتلهف لاعيش هذه اللحظة التي

ستكون فاصلة في حياتي . فكم قاتلت على جبهات أختلف فيها شكل العدو وتباينت أساليب حربه وحيله .. لكن هذه المرة أشعر أننا نواجه قوة لا قبل لنا بها طالما ظلت الفرقة تسود صفوفنا .

فهؤلاء الفرنجة مختلفون فيما بينهم في كل شيء .. في اللغة والشكل والعادات .. وامراؤهم لهم أيضا أطماع شخصية وطموحات لا حد لها لكنهم يعرفون متى ينحون خلاقاتهم جانبا من أجل مواجهة العدو المشترك في لحظات الحسم . وأنا أعلم أنهم غير متفقين على وسائل غزو مدينتنا وأقتسام المغانم وهم مختلفون على من يتولى منهم ملك المدينة المقدسة .. لكنني لا أستطيع أن أعتمد على نشوب قطيعة بين الأمراء الذين يحاصرونني مهما اشتد الخلاف بينهم . أما هم .. فبوسعهم أن يناموا ويرخوا ستائرهم دون قلق لأن الدولة العباسية لا ترغب في مساعدة الدولة الفاطمية وأن الخليفة الأندلسي يسعد لهزيمة الدولتين معا وأن أمراء السلاجقة يعتبرون جيرانهم المسلمين أشد خطورة عليهم من الفرنجة .. هذا هو حالنا

اليوم .. لذا يرتجف قلبي وهو الذى لم يكن يعرف طعم
الخوف ولو انطبقت السماء على الأرض .

العراف : سيدى .. عليك أن تتسلح بالأمل .
افتخار الدولة : الأمل .. أى أمل ؟ ذلك الأمل
الخسيس الذى يخدر ادراك صاحبه ويجعله كالأبله
لا يرى الحقيقة أمامه . الأمل الذى يزين للإنسان غدا
ورديا ثم يغدر به عند الجد فيصطدم بصخرة الواقع
دون مقدمات وهو لا يعمل له حساباً . لا .. لا أريده ..
احتفظ به لنفسك ..

العراف : مولاي .. ليس بوسع إنسان أن يحيا
والأمل منعدم فى قلبه . لقد صدق من قال : ما أضيق
العيش لولا فسحة الأمل .

افتخار الدولة : نعم . الأمل الذى يعمل صاحبه من
أجل تحقيقه . الأمل الذى يحفز على المبادرة واجتياز
الصعاب . الأمل الذى ينفخ فى النفس الحمية والشجاعة
هذا هو الأمل الذى أَرْضَى به .. وليس أمل التواكل
والاستكانة الذى اعتدنا عليه دائما والذى تريده لى .
العراف : مولاي ...

افتخار الدولة : كفانا ثرثرة .. أن لدى مهامنا
تنتظرني لو كنت تريد أن تبقى على قيد الحياة ولا تنفذ

سيوف الفرنجة في جسدك . فالموقف ...
(يدخل أحد الجنود)

الجندي : مولاي .. رسول من أمير الجيوش
الأفضل شاهنشاه وصل لتوه ويريد مقابلتك .
العراف : رسول من الأفضل .. وكيف جاء إلى هنا
وأين جيش الأفضل الآن ؟
افتخار الدولة : دعه يدخل على الفور وسنعرف
منه كل شيء .. بدلا من الرجم العقيم .

المشهد الثالث

(شارع من شوارع القدس ومجموعة من الناس
البسطاء جالسون أو واقفون في حالة من الخوف
والرهبة وهم نفس الذين ظهرت خيالاتهم في
المشهد الأول) .

رجل أول : أترون البرج الخشبي الذي دمره جنودنا
البواسل ؟ لقد اشتعل نارا وحمى واحترق كل من
بداخله من الفرنجة .

امرأة أولى : ورأيناهم يقفزون من أعلى البرج وهم
يصيحون فزعا والنار ممسكة بثيابهم وكأنهم شياطين
بأجنحة من لهب .

رجل ثانى : لقد توهموا أن هذه الأبراج ستحميهم من نيران جنودنا لكنها كانت فى الواقع كخيال المائة الذى يثير الرعب عن بعد لكنه لا يثير إلا الضحك والسخرية عن قرب .. سننتصر عليهم بعون الله .

رجل ثالث : لكن هناك هذا البرج الثانى الذى يناطح عنان السماء فى الشمال واقترب من أسوار المدينة . هل نستطيع تدميره هو الآخر ؟ أم أن الفرنجة سيدخلون به منتصرين إلى قلب مدينتنا ..
امرأة ثانية : ياويلنا لو دخلوها .. فقلوبهم لا تعرف الرحمة .

امرأة ثالثة : بل سنسحقهم بعون الله .. لقد سمعت البعض يؤكد أن الطاعون بدأ ينتشر بين صفوف الفرنجة وهم يموتون بالمئات كل يوم وسوف يجهز الوباء عليهم خلال أيام ولن يجدوا له شفاء لأن السماء غاضبة عليهم .

رجل ثانى : أما أنا فقد علمت أن أحد أولياء الله الصالحين فى طريقه إلى القدس وسوف يدخلها دون أن يراه انس أو جن وأنه سيقراً التعاويذ على جيش الأعداء فيصاب قادتهم بالجنون وينفرط عقد جيوشهم فيهيمنون فى الأرض بغير هدى .

امراة أولى : نعم .. لقد سمعت أيضا أن أحد الأولياء يتأهب لدخول مدينتنا .. لكنى علمت أن من قدراته الفائقة بث الفرقة فى صفوف الأعداء .. وسوف يجعلهم بإذن الله يرفعون السلاح على بعضهم البعض ويتقاتلون فيما بينهم حتى تفنى جيوشهم عن آخرها فيخرج رجالنا من أسوار مدينتنا ويجهزون على من بقى منهم حيا بإذن الله .

امراة ثانية : لكنهم يقولون أن الفرنجة دخلوا بالفعل إلى بعض أحياء المدينة وأنهم يقاتلون بأسلحة شيطانية رهيبة لا قبل لرجالنا بها .

رجل رابع : يقولون إنهم يستخدمون سهما يخترق ألف رجل فى ضربة واحدة .

رجل ثانى : لا تستمعوا إلى هذه الشائعات التى تفوح منها رائحة الخيانة .

امراة أولى : انها كذب يروجه عملاء الفرنجة الذين اخترقوا مدينتنا ويعملون فى الخفاء لمساعدة أعداء الله على الانتصار .

رجل أول : حذارى أن تروجوا لهذه الشائعات فهى سلاح أمضى من كل ما بين أيدي الفرنجة من أدوات الحرب والدمار .

امرأة ثانية : نعم .. فالشائعات تسرى في القلوب
قبل العقول وتدمر العزائم لأنها تستأصل الأمل من
النفوس .

امرأة ثالثة : لا يجب أن نستسلم للخوف فهذا
بالتحديد ما يريده أعداؤنا .

امرأة ثالثة : لو تسلل اليأس إلى قلب رجل واحد
فانه ينتقل بسرعة النار في الزيت إلى كل القلوب وكل
النفوس فيتمكن من العقول ويشل أيدي الرجال فيمنعها
من رفع السلاح في وجه العدو .

رجل ثالث : لا تستسلموا لليأس يا اخواني .

الجميع : نعم .. لن نستسلم لليأس . لن نستسلم
لليأس .



المشهد الرابع

(افتخار الدولة يقف كما تركناه فى المشهد السابق بالضبط مع العراف ثم يدخل الحارس ومن وراءه مبعوث الأفضل وحسان) .

الحارس : رسول أمير الجيش مولاي الأمير الأفضل شاهنشاه .

(يدخل الرسول)

الرسول : السلام عليكم يا سيدى القائد .. الفرنجة يحكمون الحصار على المدينة من كل مكان وقد نجحت بصعوبة بالغة فى تحويل انتباههم والوصول إليكم .
افتخار الدولة : حسنا .. حسنا .. نحن نعيش فى

هذا الحصار منذ أربعين يوما كاملة دون أن يشعر بنا أحد .. أسرع بالافصاح عن رسالتك .
الرسول : يبلغك سيدى القائد المعظم أمير الجيوش
الأفضل شاهنشاه سلامه وتحياته ويعرب لك عن
اعجابه بصمود بيت المقدس تحت قيادتك أمام جيوش
الفرنجة .

افتخار الدولة : قلت لك اختصر . أين الأمير
الأفضل الآن ؟ متى سيحضر كى يعاوننا على التخلص
من الفرنجة ؟

الرسول : لا نستطيع تحديد ذلك بالضبط ..
فظروف الطريق صعبة للغاية وتعلم أن جبال سيناء
ليست سهلة العبور لجيش كبير يحمل عتادا ضخما .
وقد أتيت لأخبرك بأن قائدنا المعظم قد غادر القاهرة
على رأس جيش كبير فى طريقه إلى بيت المقدس .
افتخار الدولة : غادر القاهرة .. غادر القاهرة ..
المفروض أن يكون قد تركها منذ شهر .. وتأتى لى
اليوم لتقول لى أنه غادر القاهرة .. يا فرحتى ..
المسألة مسألة ساعات بل ربما دقائق .. وتقول لى
غادر القاهرة .. (يصمت قليلا ثم يقول وكأنه يخاطب
نفسه) عندما اجتراً الفرنجة وعبروا نهر الكلب

تصورت أن الخليفة المستعلى بالله لن يقبل الاستهزاء به . فهم يعلمون تمام العلم أن نهر الكلب هو الحد الفاصل بين أراضى الدولة الفاطمية وأمارات السلاجقة فى الشام وفلسطين . لكن أحداً لم يُحرك ساكناً .. وعندما وصل الفرنجة على مشارف القدس لم يساورنى أقل شك فى أن الأفضل شاهنشاه أمير جيوش الدولة الفاطمية المهيبة سيكون إلى جوارنا خلال أيام لنعطى للفرنجة درساً لا ينسوه فيعودوا إلى بلادهم مهزومين مدحورين يجرون اثيال الخيبة والعار . لم يدر بخلقى ولو للحظة واحدة أننا سنعيش أربعين يوماً تحت حصار ملعون وأن يكون بيت المقدس على وشك السقوط بين أيدي الكفار كالثمرة الناضجة .. والآن تقول لى أنه علينا أن نستمر فى الصمود بضعة أيام أخرى ؟ كيف ؟ ألا يعرف أمير الجيوش إمكانياتنا المحدودة ؟ ألا يعرف العتاد والقوة التى يمتلكها الفرنجة والتى لا قبل لنا بها ؟ أجب .. لماذا أصابك الصمت ؟

الرسول : يا سيدى إن مولاي الأفضل يسير على رأس أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وآلاف من الخيول والمجانيق والعتاد الثقيل ولا يمكنه أن يتحرك بسرعة أكبر من هذا .. وأنتم فى هذا البرج المنيع يمكنكم أن

تصمدوا بضعة أيام حتى يصل مولاي . لقد نجحت عكا
في أن تكون قلعة منيعة أمام جيوش الفرنجة حتى
اضطروا إلى فك الحصار عنها وصمدت انطاكية أكثر
من سبعة أشهر قبل السقوط بين أيدي الفرنجة ولم
تسقط إلا بالغدر والخيانة . فكيف

افتخار الدولة : اسكت .. كأنى أرى سيدك يتحدث
أمامي .. فیده فی الماء البارد وليست في أتون هذه
النار الحارقة التي نكتوى بها هنا منذ أربعين يوما . لم
يمر يوم واحد منها إلا وقام فيه الفرنجة باستعراض
للقوة أو بمحاولة لاختراق دفاعاتنا . لم يمر يوم واحد
إلا وسمعنا أصواتهم الكريهة وشعرنا بنذير الشوم يحوم
فوق رؤوسنا . لكن سيدك يجلس في قصره ولا تهتز
له شعرة لما يجري لنا . نعم .. سقطت انطاكية بالغدر
والخيانة وسوف تسقط القدس بالغباء والتخلف .. هل
عندك ما تضيفه من قبل سيدك ؟

الرسول : لا يا مولاي .. أنه يناشدك الصمود إلى
أن يحضر بقواته بإذن الله .
افتخار الدولة : وأنا أناشدك أن تصمت وأن تتركنا
الآن .

الرسول : سمعا وطاعة يا مولاي .. ما أنا

إلا رسول أحمل رسالة كنت أفضل ألا أنقلها في هذه الظروف العصيبة . والله معكم ومعنا .

افتخار الدولة : حسنا .. اتركنا الآن . (ينظر إلى الحارس) قدموا له الطعام والشراب .. فلا تذب له في الأخبار المشنومة التي يحملها .

(يخرج الرسول) . .

افتخار الدولة (يمشى كالتائه ذهابا وإيابا ثم يتوقف فجأة) : أين هند .. أدخلوها على الفور .

(يخرج الحارس مسرعا) .

افتخار الدولة : يا حسان .. أرسلوا امدادات إلى المكان الذي يتركز فيه هجوم الأعداء . فلا يجب أن يضعوا قدما واحدة داخل أسوار المدينة مهما كان الثمن .

(يدخل عبد الرحمن فجأة ومن ورائه على والجرجاني وعلى مظهرهم وثيابهم آثار مشاركتهم في المعركة) .

حسان : عبد الرحمن .. ما الذي حدث ؟

عبد الرحمن : وقع ما كنت أخشاه .

افتخار الدولة : ماذا حدث يام عبد الرحمن ؟

تكلم .

عبد الرحمن : لقد نجح الفرنجة في اختراق السور
وبدأوا يدخلون المدينة بالفعل .

على : قاومناهم كالأسود لكنهم تفوقوا علينا بعددهم
الأكبر وعتادهم المتطور .

الجرجاني : القتال يدور الآن داخل أسوار
أورشليم .

**افتخار الدولة (بعد لحظة صمت ينظر الكل
خلالها إليه انتظارا لرد فعله) :** إذن .. لم يعد أمامنا
إلا الصمود في هذا البرج حتى يأتي الفرج من عند
الله . يا رجال لقد كتب علينا أن نقاتل حتى الشهادة ..
جهزوا كل ما لدينا من عتاد للدفاع عن محراب داوود
فيبدو أننا نستعد لخوض المعركة الأخيرة .. لكن والله
لن نبرح هذا المكان هكذا .. فإن كان قد كتب للفرنجة
أن ينتصروا لحكمة لا يعلمها إلا الله فسوف يدفعون
ثمن هذا الانتصار غاليا .. وسأسهر شخصيا على أن
يكون ذلك .

**(تدخل هند ويخرج الجميع فلا يبقى سوى
افتخار الدولة وهند) .**

افتخار الدولة : تعالى يا هند .. اقتربي
يا حبيبتي .

هند : ماذا بك يا مولاي ؟ وجهك شاحب كما لم أراه

من قبل وكأن الدماء قد هربت منه .

افتخار الدولة : يبدو أن لحظة الحقيقة التي كنت أخشاها حانت كالقدر المحتوم .. قد يتأخر أحيانا عن مواعده المرتقب لكنه يهوى على رأس الإنسان في اللحظة التي لا يتوقعه فيها والتي ارتخت عندها كل حواسه الدفاعية ..

هند : ما الذي حدث يا مولاي ؟

افتخار الدولة : كانت عندي قناعة راسخة أن زعماء أمة الإسلام لا يمكن أن يتركوا بيت المقدس يسقط في أيدي أعداء الله .. لا يمكن أن يتركوا المسجد الأقصى وقبة الصخرة ملكا لمن يدينسها . كنت واثقا كالطفل الذي يواجه الخطر وتشخص أمامه صورة والديه فتدخل الطمأنينة في قلبه لأنه على يقين أنهم لن يتركوه وحده وسينقذوه في اللحظة الأخيرة قبل أن يلحق به الأذى . لم تكن عندي ثقة بالأفضل .. فأنا أعرف ما يمكنه لي من مشاعر وأعلم أن ما يحركه هو مصلحته الشخصية قبل أي شيء آخر .. لكنني كنت أضع ثقتي كاملة في الخليفة المستعلي بالله أمير المؤمنين وخليفة الدولة الفاطمية أقوى دولة على ظهر الأرض . وكنت أثق في الخليفة العباسي المستظهر بالله رغم ضعفه وهوان دولته . كنت ...

هند : مولاي .. القلق يأكل قلبي من كلامك الغامض . ما الذى استجد لتقول هذا ؟ أرحمنى وقل لى ما يحدث .

افتخار الدولة : جيش الأفضل الذى كنا ننتظره من لحظة إلى أخرى لازال على بعد أيام طويلة من هنا ولم نعد قادرين على صد هجوم العدو الذى اخترق دفاعاتنا بالفعل وبدأ القتال يدور داخل المدينة . قد يحمينا هذا البرج بضع ساعات أو بضعة أيام أخرى إذا حالفنا الحظ .. فبوسعنا أن نمطر الفرنجة بوابل من النار والحجارة والسهام فيتراجعون انتظارا للحظة أفضل لأنهم واثقون من النصر . لم يعد هناك أى مخرج .. صرنا محاصرين كالقئران ولم يعد بوسعنا إلا أن نعض أقدام مهاجمينا فتوّلهم دون أن نجهز عليهم .

هند : يا حبيبى .. أنا واثقة من أنك ستفعل ما عليك أن تفعله وتواجه قدرك بالرجولة التى أشعرتنى بها فى الأشهر الستة الماضية . كم كنت أتمنى أن يطول الحصار حتى تظل قريبا منى ولا أفقد وجودك إلى جوارى . فهذا الحصار قد قربك منى وجعلك تفتح لى قلبك كما لم تفعل من قبل . وعند غروب الشمس فى كل يوم كنت أحلم فى يقظتى أننى أمسك بأشعتها

كالخيوط بين أصابعى أجذبها ناحيتى فيتوقف سيرها
المحتوم فى طريقها إلى الاختفاء وراء الأفق البعيد فى
مكان مجهول . لكنها كانت تسير سيرها دون رحمة
أو التفات لشخصى الضعيف ولرغبتى المجنونة .

افتخار الدولة : يا حبيبتى لقد حانت لحظة الاختيار
المريـر الذى كنت أتمنى أن نرحم منه . فلابد أن ترحلى
من هنا إلى مكان أمين .

هند : أرحل من القدس ؟

افتخار الدولة : سأدبر رحيلك على الفور فلا أدري
ما الذى يخبئه لنا القدر .

هند : مولاي .. لقد تحدثنا فى هذا الأمر من قبل
وقلت لك بوضوح أننى لن أغادر القدس . لقد ولدت هنا
وسأموت على هذه الأرض ولن أدفن إلا فى ترابها .
افتخار الدولة : هند .. ماذا جرى لك ؟ لقد تحدثنا

فى هذا الموضوع وهو لازال احتمالا بعيدا . تحدثنا
عن أمر جائز الحدث نأخذ فيه قرارات نتحكم فيها
العاطفة والحنين . لكن الأمر مختلف اليوم اختلاف
الليل والنهار . لم تعد هناك احتمالات وتوقعات .
الفرنجة سيكونون هنا خلال ساعات أو أيام قليلة فى
أفضل الفروض . والقرار فى هذه الساعة لا يحكمه

إلا العقل والحكمة . يجب أن ترحلى . لا يوجد لك
أقارب هنا كما قلت لى . فما الذى يربطك بهذه
الأرض ؟

هند : ما الذى يربطنى ؟ ... كل شىء .. الهواء
المحمل برائحة شجر الزيتون الذى أستنشقه كل مساء
لا أعتقد أن له مثيلا فى أى مكان وأشعر أن أنفاسى
ستختنق حتى الموت لو دخل فى رئتى أى هواء آخر .
الدم الذى يجرى فى عروقى أرتوى من مياه هذه
الأرض ولحمى دببت فيه الحياة من احتكاكه بهواء
القدس وبأرضها الطيبة . ما الذى يربطنى ؟ الناس
الطيبون الذين لا أعرفهم وربما لم أرهم ولكنى نشأت
فى وسطهم واشتد عودى بفضل عرقهم وعمل كل
واحد منهم . رحيق الزهور وعبق الجو النقى بعد
سقوط المطر وصوت الريح يهز أوراق الأشجار فى
الشتاء وقشعريرة البرد التى تسرى فى جسدى وأنا
أتنشف بعد حمام المساء . كل هذا يربطنى بالقدس ..
فهل بوسعك أن تفهم ذلك ؟

افتخار الدولة : ما هذا الهراء يا هند ؟ هل فقدت
عقلك ؟ كل ما تتحدثين عنه موجود فى أى مكان حتى
فى بلاد الفرنجة ..

هند : لا .. لا .. لن يكون له نفس المذاق ولا نفس الرائحة .. وما معنى الحياة إذا فقد الإنسان مذاقها ؟
افتخار الدولة : ما معنى الحياة ؟ لا أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال .. لكنى أرى الناس يتكالبون عليها كما هي .. حتى الذين أحنت الشيخوخة ظهورهم ولم يعودوا يستمتعون بأى شيء .. حتى الذين عاشوا طوال عمرهم فى مذلة الفقر والحرمان ولم يروا يوما حلوا واحدا منذ وجدوا على ظهر هذه الأرض .. حتى المرضى الذين يصرخون من عذاب الألم ولم يعد هناك رجاء فى شفائهم .. أرى كل هؤلاء يتشبثون بالحياة حتى الرmq الأخير ويجزعون عند مواجهة شبح الموت كمن يقف وحيدا أمام أسد يزار من شدة الجوع فترتج أرجاء الغابة من صوته المهيب . وأنت .. أنت التى أنعم عليها الله سبحانه بكل هذا الجمال الساحر .. أنت التى لم تتجاوزى العشرين من عمرك بعد لا تهملك الحياة وتعرضين عنها لأسباب واهية لا يقبلها عاقل ولا مجنون .

هند : لا تضيع وقتك معى بلا فائدة .. ان لديك تأمين دفاع هذا البرج الذى لن يبقى لنا غيره بعد قليل .
أما أنا فقد اتخذت قرارى ولن أراجع عنه .

افتخار الدولة : حبيبتى .. أرجوك أن تعيدى التفكير فى هذا القرار المجنون الذى لا معنى له . أنى أشم رائحة الموت وقد بدأت تخيم على هذا المكان .. فارحمى نفسك وأرحمىنى .. نحن نضيع وقتنا ثمينا قد نندم عليه .

هند : قلت لك أن الأمر محسوم . سأبقى وليسر على ما يسرى على الجميع .

افتخار الدولة : هند .. ألا تعرفين

(يدخل الحارس) .

الجندى : سيدى .

افتخار الدولة : ماذا ؟ كيف تجرؤ على مقاطعتى فى هذه الساعة ؟

(يدخل عبد الرحمن والجرجانى وحسان وعلى وبعض الفرسان وينظر الجميع إلى افتخار الدولة باهتمام شديد) .

افتخار الدولة : ما الذى يحدث ؟

الحارس : هناك فرسان من الفرنجة يطلبون الأمان لدخول البرج . يقولون أنهم يحملون رسالة من كبيرهم ويريدون نقلها لمولاى .

افتخار الدولة : رسل من قبل قائد الفرنجة .. أى

قائد ؟

هند : لا تقابلهم .. إنهم يريدون المساومة .
وما الذى يمكن أن تعطية إلا الاستسلام ؟
(الوجوم والصمت ينتابان جميع الحاضرين) .
الجندي : انهم على أبواب البرج . فهل نتركهم

يدخلون أم نردهم فيعودوا من حيث أتوا ؟
(افتخار الدولة ينظر إلى أعلى وكأنه يستجدى
الهاما من السماء) .

الرجائي : لنستمع إليهم يا مولاي . فربما جاءوا
بمقترحات تستحق النظر . فإن لم تعجبنا رددناهم إلى
من أرسلهم ..

حسان : نعم يا سيدى .. لن نخسر شيئا بلقائهم
ومعرفة ما يريدون . لقد جاءوا إلى هنا بأقدامهم وهذا
يعنى أنهم راغبون فى التفاوض ومستعدون لتنازلات
يمكن أن نستفيد منها .

افتخار الدولة : معكم حق .. دعوهم يدخلون .
(يخرج الحارس) .

انتظرينى يا هند بالخارج قليلا حتى أعرف ما الذى
يريده منى قادة الفرنجة .

(تخرج هند) .

(يوجه الحديث إلى فرسانه) لو أعطوا الأمان

لسكان القدس ولو قبلوا اشرافنا على المسجد الأقصى
وباقى مقدساتنا هنا فإنه من الممكن التفاهم معهم حول
شروط خروجنا من محراب داوود . ولن نبرح هذا
المكان إلا معززين مكرمين نحمل سلاحنا ونركب
خيولنا .

**الجرجاني : مولاي .. أنت قائد مرهوب الجانب
والفرنجة يعلمون ذلك ولا بد أن يأخذوه فى الاعتبار
لكنى أرى أن الموقف لا يسمح لنا بفرض كل شروطنا
عليهم . فلن يكون هناك بد من التنازل حتى لا نفقد كل
شئ .**

**عبد الرحمن : التنازل .. التنازل عن ماذا
يا جرجاني ؟ التنازل عن حقوقنا وحقوق الدولة
الفاطمية فى بيت المقدس وآمال شعبنا الطيب الذى
وضع كل ثقته فينا .. ومن فوضنا بالتنازل عن أى
شئ ؟ ان مهمتنا هى الدفاع عن بيت المقدس
والمقاومة حتى النصر .**

**افتخار الدولة : كفانا شعارات جوفاء
يا عبد الرحمن .. انها لن تنفعنا فى وقت شدة كهذا .
كان وقتها عندما تصورنا أن جيش الأفضل فى
الطريق . أما الآن فنحن وحدنا أمام قدرنا المحتوم .**

أما من فوضنا بالتنازل فهو الذى تركنا هنا دون عون
أو مساعدة فى الوقت الذى يتلقى فيه الفرنجة الامدادات
عبر البحر .

الحارس : مولاي . رسل الفرنجة .
(يدخل ثلاثة رجال يرتدون ملابس الصليبيين
ولهم لحى طويلة صفراء أو فاتحة اللون) .
المبعوث الأفرنجى : السلام عليكم
عبد الرحمن : سلام ؟ كيف تراء هذه الكلمة على
لسانك وقد جنتم تنشرون الموت والدمار فى بلادنا
عن أى سلام تتحدث ؟

المبعوث : جننا من طرف سيدنا روبرت دى سان
جيل كونت دى تولوز القائد المعظم نحمل رسالة
لقائكم . أين هو ؟
الجرجاني : ما عليك يا رجل .. ما هى رسالة
قائكم ؟

المبعوث (يتهامس مع زميليه فيهزان رأسيهما
إجابا) :

تعلمون أننا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار
ودخول أورشاليم وهذا تنفيذ لإرادة الرب . ولم يعد
لديكم أدنى فرصة للصمود فى هذا البرج . لذا نرى

أنه من مصلحتكم الاستسلام فوراً حقناً للدماء .
عبد الرحمن : أهذه رسالتك ؟ أتجشمت مشقة
الحضور إلى محراب داوود لنقل هذه الرسالة
الفارغة ؟ .. ان كان الانتصار أمراً هيناً عليكم بهذه
الصورة فما الذى أتى بكم إلى هنا ؟ أحبنا فينا ؟ هل
تملكت الإنسانية من قلوبكم إلى هذا الحد ؟ أنتم
لا تعرفون الرحمة .. أنسيتم ما فعلتم فى كل المدن
التي استوليت عليها ؟ لم يسلم رجل أو طفل أو شيخ
أو امرأة من أذاكم . أتحيون أننا لا نعلم ما فعلتم
بمعرة النعمان تلك المدينة الآمنة التي استباحتم رجالها
ونسائها ثم لم تكتفوا بذلك بل أكلتم لحوم البشر فيها بعد
شيها وكأنها خراف العيد

المبعوث : لم نحضر للنفاش ولا للتفاوض . فنحن
نحمل رسالة واضحة .. أما أن توافقوا عليها أو تقبلون
تحمل عواقب رفضكم ولا يخفى عليكم ما هي تلك
العواقب .

عبد الرحمن : تأدب يا رجل .. أجئت تهددنا ؟
والله لندق عنقك وليكن ما يكون بعد ذلك ..
الجرجاني : أسكت يا عبد الرحمن ودعنا نستمع
إلى رسالتهم بالكامل .

عبد الرحمن (ينظر إلى افتخار الدولة) :
مولاي القائد ان هؤلاء لن يرحمونا في كل الأحوال .
وكم من المرات نكسوا فيها عهودهم وقتلوا وانتهكوا
الأعراض بعد أن أعطوا الأمان .. فلنقاوم حتى الموت
فهذا أشرف لنا ..
(صمت) .

المبعوث (ينظر إلى افتخار الدولة ويقترب منه
بعد أن تعرف عليه) : ما رأيك أيها القائد ؟
افتخار الدولة : أنت تتحدث العربية بطلاقة
غربية . من علمك لغتنا ؟
الرسول : أنا لا أتحدث لغتكم فقط ولكني أقرؤها
كذلك ..

افتخار الدولة : فعلا .. وماذا قرأت ؟
الرسول : قرأت الكثير من كتبكم .
افتخار الدولة : مثلا ؟
الرسول : قرأت القانون في الطب وكتاب الشفاء
لابن سينا وقرأت الخالص لجابر بن حيان .
افتخار الدولة : أهذا كل ما قرأت ؟
الرسول : لا .. قرأت آراء أهل المدينة الفاضلة
للفارابي وكذلك رسالته في معاني العقل وغير ذلك ..

على : أحقا قرأ كل هذا ؟

الجرجاني : ولماذا يقرأ كتبنا أنيس عندهم ما يقرأوه
في لغاتهم ؟

الرسون : عندنا .. لكن كتبكم بها علم أكبر ونحن
الآن في حاجة إلى الاستفادة منه . وقد عكفت أكثر من
عشر سنين على تعلم العربية بعد أن زرت البيت
المقدس .

افتخار الدولة : تستفيدون من علمنا بالقتل والذبح
وسفك الدماء ؟ لماذا لا ترسلون من يتعلم عندنا في
سلام دون حاجة إلى القتال ؟

الرسول : لابد أن نحرر أورشاليم ويكون قبر
يسوع بين أيدينا .. هذا ما أراده الرب وهذا
ما سيكون .. فأورشاليم عندنا هي بؤرة الاتصال بين
أرض الإنسان ومملكة السماء . وستكون بإذن الرب
عاصمة المملكة اللاتينية في الشرق .

افتخار الدولة : هذا حلم سادة الفرنجة لكنها ليست
مشاعر شعوبكم المطحونة التي تعيش تحت وطأة الفقر
والاستعباد .

المبعوث : أنت مخطيء ياسيدى .. فعندما أطلق
البابا أوربان الثاني منذ أربعة أعوام نداءه في مجمع
كليرمون إلى المسيحيين في كل مكان لتحرير أورشاليم

واستعادة قبر يسوع لم يكن يتصور أحد بالفعل أن
الآلاف من أبناء المسيح سيهبون لتلبية هذا النداء . لقد
ترك الناس البسطاء مدنهم وقراهم وتركوا أعمالهم
ومصالحهم وأطفالهم ونساءهم وتوافدوا على مراكز
التطوع أفواجا وهم على استعداد للتضحية بكل شيء
من أجل تحقيق حلمهم الأعظم . لم يعد هناك جدوى من
مقاومة زحفنا المقدس أيها القائد .. فنحن قادمون باسم
الرب وبارادته .

عبد الرحمن : لم تأتوا إلى هنا حبا في المسيح عليه
السلام بل أتيتم من أجل المغانم ومن أجل مكاسب
الدنيا . أتيتم من أجل السبي والنهب والسلب .. ألم
تنهبوا قرى ومدنا مسيحية في طريقكم إلى هنا وأنتم
تطلقون صيحة القتال التي اخترتموها لإرهابنا : هذا
ما أراده الرب . ألم يحدث ذلك ؟ هل كان هؤلاء أعداء
المسيح أيضا في نظركم ؟

الرسول : أيها القائد .. لم يعد أمامنا وقت طويل ..
علينا أن نعود برسالة واضحة وعاجلة إلى سيدي سان
جيل . فما هو ردك ؟

افتخار الدولة : ردى على ماذا ؟ أنا لم أسمع شيئا

بعد ..

الرسول : عليكم أن تغادروا البرج وتتركوا
أورشاليم دون أية شروط .. وسيدى سان جيل يضمن
لكم حياتكم ويؤمن لكم الذهاب إلى عسقلان . لكن عليكم
أن تتخذوا قراركم بسرعة والتحرك الليلة عندما يحل
الظلام .

افتخار الدولة : أترك المدينة مع جنودى ومعنا
أسلحتنا ولن أغادرها إلا بعهد من قائدكم بعدم التعرض
لأهل القدس الأبرياء وعدم استباحة القتل والسبى كما
فعلتم فى المدن الأخرى التى وقعت بين أيديكم .

الرسول : أيها القائد .. يبدو أنك نسيت أنكم
مهزومون وأن البرج سيسقط فى أيدينا لا محالة .. إنها

مسألة وقت لا غير .. لكن سيدى سان جيل يحترم
موقفك والشجاعة التى أظهرتها خلال الحصار ويريد
أن يتعامل معك كعسكري ويدعوك بالتالى إلى التخلي
عن البرج حقنا للدماء .

افتخار الدولة : دعك من هذا الكلام .. ان سيدك
يعلم تماما أن زملاءه قادة الجيوش الأخرى التى
تحاصر بيت المقدس بدأت تدخل المدينة بالفعل وهو
يريد التعجيل بالدخول هو الآخر حتى لا ينتشر بين
العامة أن سان جيل أشهر قواد الفرنجة كان آخر من
دخل القدس وآخر من أدى واجبه إزاء الكنيسة وتجاه

المسيح . لقد دمرنا البرج الخشبي الذي تقدم به جنوكم ناحية أسوارنا بعد أن بنيتموه في عشرين يوما وأنتم تحتاجون لعشرين يوما أخرى لبناء برج جديد . وسان جيل لا يريد أن يترك لغريمه جودفروا دي بويون دوق اللورين السفلى شرف دخول بيت المقدس قبله . وقد سمعت أن الدماء كانت تغلى في عروق سيدك عندما ذاع صيت دي بويون وسط جيوش الفرنجة وشاع عنه أنه فصل رأس جمل ضخم عن جسده بضربة سيف واحدة .

مبعوث الفرنجة : لا يوجد خلاف بين سيدى سان جيل وباقي القادة .. لقد جاءوا جميعا لهدف واحد هو تحرير أورشاليم .

افتخار الدولة : تقصد استعباد بيت المقدس .. ومع ذلك فأنا أعلم أن سيدك يحلم منذ بدء الحصار بأن يكون أول من يدخل القدس فوق حصانه الأبيض . ونحن نقف له كالعظمة في الحلق . لا تتصور أنني لا أفهم كل هذا .. فإذهب وقل لسيدك أنني لا أقبل إلا بهذه الشروط .

مبعوث الفرنجة (يتشاور مع زملائه) : نحن مفوضون تفويضا واضحا من قبل سيدنا سان جيل .. واعلم أننا إذا خرجنا من هنا دون اتفاق فلن نعود

إلا بأسنة الرماح وساعتها لن يرحم أحد أيا كان . فهذه هي الفرصة الوحيدة .. ونصيحتنا أن تلتقطها قبل فوات الأوان . لن نعطيك أى تعهد بشأن شعب القدس ولا بما سنفعله هنا .. كل ما نعطيه لك هو نجاتك شخصيا مع مجموعة من رجالك المقربين .

افتخار الدولة (يفكر قليلا) : اتركونى لحظات حتى أتشاور مع رجالى .
الرسول : لا وقت للتشاور .

افتخار الدولة : قلت اتركونى على الفور .. وإن لم يعجبك فخذ زملاءك وارجلوا من البرج حالا .. فنحن والله على استعداد للقتال حتى الموت .

الرسول (يتهامس مع رفاقه) : حسنا .. لا تغضب أيها القائد . لكن نرجو ألا تجعلنا ننتظر كثيرا .

(يخرج وفد الفرنجة) .

افتخار الدولة : ما رأيكم أيها الرجال ؟

على : مولاي .. أرى أن كلامهم معقول من حيث المنطق .. فلم يعد هناك أقل أمل لنا فى صد هجماتهم دون عون خارجى وسيزيدهم القتال توحشا ورغبة فى الانتقام .. لكن بالى ليس مرتاحا .. فقد تراجع الفرنجة عن وعودهم كثيرا ولم يحترموا كلمتهم .

الرجائي : إنما سان جيل هذا رجل كبير يزيد عمره عن الستين ويقال أن له لحية بيضاء مهيبة وأنه ليس كبقية القادة المعروفين بالشراسة والحيوانية . فهو رجل يحترم شرف الكلمة ولا يأمر باستخدام العنف إلا إذا لزم الأمر .

عبد الرحمن : كفى هراءا .. هل تحولت القضية إلى البحث في أمانة العدو وشرفه ؟ هل المشكلة هي أن سان جيل هذا رجل يحترم كلمته أم ينكص وعوده ؟ أنسيتم أنهم خدعوا امبراطور بيزنطة ألكسيس كومنين وهو منهم فما بالكم بأعدائهم الألداء ؟ لكن هذه قضية مغلوطة .. فالقضية الحقيقية هي نحن وليس سان جيل أو غيره من الفرنجة .. إننا نتهرب من أداء واجبنا ونترك مواقعنا التي أوتمنا عليها للدافع عنها حتى قطرة دمائنا الأخيرة . إننا نتخلي عن شرف القتال في سبيل الله وفي سبيل الحق .

افتخار الدولة : قلت لك من قبل كفانا شعارات يا عبد الرحمن . الكل يعرف من أنا .. والكل يعرف أن افتخار الدولة لا يهرب من القتال ولو كان عدوه الشيطان ذاته . لكنه يعز على نفسه أن تكون نهايتي لسبب لا يد لي فيه . يعز على أن أموت وأطلب من

رجالى أن يضحوا بحياتهم لأن أمراءنا لهم حسابات
لا علاقة لنا بها .

الجرجاني (موجهها كلامه إلى عبد الرحمن) : هم
الذين تخاذلوا وتريدنا نحن أن ندفع الثمن ؟

افتخار الدولة : لو تكاتف الحكام والأمراء ووحّدوا
كلمتهم لهانت على حياتي وحياة رجالي ولقدّمت عمري
فداء لحماية بيت المقدس أو أي موقع آخر يوكل إليّ
الدفاع عنه . لكنني أعلم مالا تعلمون . أعلم أن
خلافاتهم على السلطة والجاه وحقدّهم المتبادل وخوفهم
من بعضهم البعض ونظرتهم الضيقة لمصالحهم هي
الأسباب التي حالت دون تشكيل جيش قوى يمشي على
الفرنجة ويكسر شوكتهم . ولو اجتمع زعمائنا على
كلمة واحدة لسحقنا هؤلاء الفرنجة دون أدنى مشكلة .
على : وقد فعلناها من قبل يا مولاي ..

افتخار الدولة : أتعلمون أنه في الوقت الذي كنا
نتلهف فيه على أخبار جيش الأفضل وصلت إلى ميناء
يافا عشر سفن للفرنجة محملة بالأخشاب والعتاد
والرجال ولولا هذا الإمداد الذي هبط عليهم من السماء
لما استطاعوا بناء الأبراج وما استطاعوا أن يتفوقوا
علينا ولصمدنا أمامهم عشرة أشهر دون أن تهتز لنا
شعرة .

(مهمة وسط الفرسان) .

عبد الرحمن : متى حدث هذا وكيف لم نعلم به ؟
افتخار الدولة : بعد الهجوم الذى قام به العدو فى

الأيام الأولى من تمركزهم حول المدينة ذلك الهجوم
الذى سحقناه ورددناهم على أعقابهم أصبح حال قوات
العدو أقرب إلى الجيوش المحاصرة منها إلى الجيوش
المحاصرة . فقد شعروا بوطأة نقص المياه والعتاد
اللازم والرجال المدربين على التحضير لشن الهجوم .
ولم تمض أيام قليلة بدأ خلالها الشك يتسرب إلى قلوبهم
حتى هلت السفن العشر فانقلبت الموازين لصالحهم ..
عبد الرحمن : وكيف لم نعرف بهذا ؟ لِمَ لَمْ
تخبرنا ؟

افتخار الدولة : لقد أخبرت على والجرجاني ثم
أمرتهم بعدم نشر هذا الخبر خوفا من أن يؤثر على
معنوياتكم ومعنويات رجالكم . ولو بذل القائمون على
أمرنا أقل جهد لإرسال الإمداد لنا أو لمنع وصول
الإمدادات لعدونا لكنت أنا الذى أعرض الأمان اليوم
على سان جيل وغيره من قادة الفرنجة ليغادروا بلادنا
ويعودوا من حيث أتوا بدلا من أن نعيش هوان الخضوع
لرغبات العدو وشروطه المهينة . لذا فقد اتخذت

قرارى .. ساقبل عرض سان جيل وسنرحل من هنا
إلى عسقلان وهناك سنبحث عن الوسيلة التى نعود بها
إلى القدس ظافرين بعون الله .

الرجائى : هذا قرار حكيم يا مولاي .

افتخار الدولة : هيا يا عبدالرحمن .. إنى أدرك
ما تشعر به لكن هناك لحظات فى حياة الإنسان يضطر
فيها إلى أن يحنى رأسه للعاصفة حتى تمر بسلام ثم
يستعيد قواه بعد ذلك ويعمل على تحقيق ما يريد .

عبد الرحمن : اسمح لى ألا أوافقك على هذا
المنطق أيها القائد . لقد دخلت هذا البرج وأنا عاقد
العزم على ألا أخرج منه إلا منتصرا أو محمولا إلى
القبر . وما حدث لا يزيدنى إلا إصرارا على موقفى .

افتخار الدولة : ماذا تقصد يا عبد الرحمن ؟ أتبقى
وحدك فى البرج ؟ هل أصابك مس من الجنون ؟

عبد الرحمن : لا .. بل قررت أن أذهب إلى نهاية
قناعتى . فأنا مؤمن بأن مهمتى هى الدفاع عن هذا
البرج وعدم تسليمه للفرنجة مهما كلفنى ذلك حتى ولو
كان الثمن حياتى ذاتها . أنا جندى يا مولاي وأعلم منذ
اليوم الأول الذى اخترت فيه هذا الطريق أنه سيأتى
اليوم الذى أضطر فيه إلى المخاطرة بحياتى من أجل
الدفاع عن شرف بلادى وبقاء أمتى .

افتخار الدولة : يا عبد الرحمن أنت من أفضل
المقاتلين في دولتنا وبوسعك أن تخدم بلادك وأن تعز
راية الإسلام إن بقيت حيا .. فهناك معارك كثيرة قائمة
ليست هذه المعركة سوى مقدمة حزينة لها وسنحتاج
في المعارك القادمة إلى شجاعتك وجلدك في القتال .
أما موتك فلن يفيد أحدا وستكون تضحيتك بحياتك
خسارة عبثية لك ولأهلك ولكل من تحب .

عبد الرحمن : كل شيء يهون في سبيل أداء
واجبي نحو ديني وأمتي ..

افتخار الدولة : إن كنت تريد أن تقاتل حقا في
سبيل دينك وأمتك تعالى معي واحفظ حياتك ثم استعد
للتضحية بها حين تكون التضحية مجدبة لوطنك . هيا
يا عبد الرحمن .. الكل يعرف شجاعتك لكنها لا تبلغ
حد أن تبقى وحدك لمواجهة جيش سان جيل .

أحد الفرسان : لن يكون وحده يا مولاي . لقد
قررنا أن نكون معه أمناء على المهمة التي أوكلت إلينا
حتى النهاية .

افتخار الدولة : قررنا .. من أنتم الذين قررتم ؟
عبد الرحمن : لقد تداولت بالعمل مع مجموعة من
الفرسان واقتنع بعضهم بضرورة أن يبقى أحد للدفاع

عن محراب داود حتى لا يقال أننا هربنا جميعا كالنساء .

افتخار الدولة : كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذا الأسلوب يا عبد الرحمن ؟ أتتهمنا بالجبن والهروب كالنساء ؟

الرجائي : لا يا مولاي لا سمح الله .. هو لا يقصد ذلك .

افتخار الدولة : من حظك أننا في هذه الظروف .
قلو أننا في موقف آخر لأمرت بقطع رقبتك على الفور .

عبد الرحمن : لو كنا في موقف آخر لما خرجت من فمي مثل هذه الكلمات يا سيدى القائد .
حسان : إن عبد الرحمن يكن لك أعظم الاحترام والتبجيل مثلنا جميعا يا مولاي .. لكنك تعرفه ..
فلسانه يسبق دائما تفكيره .

افتخار الدولة : حسنا يا عبد الرحمن .. ابقوا إن شئتم لكنى أقول لكم إن حياتكم ستذهب هباء ولن يسمع عنكم أحد .

عبد الرحمن : أنت مخطيء يا مولاي . لن تذهب دماؤنا هدرا كما تتصور . ففي كل أمة قامت لها قائمة

قدم البعض من أبنائها حياتهم قربانا لحريتها وقد قررنا أنا وإخواني أن نضحى بأنفسنا حتى تظل نكرى تضحيتنا حية في ضمير الأجيال القادمة . قد تتوه أسماؤنا وسط زحام التاريخ .. قد نصبح أبطالاً بلا هوية . لكن ما نقوم به لن يهدر ولن يضيع هباءاً كما تتصور . افعل أنت ما تظن أنه التصرف الأصح .. أما أنا وزملائي فقد اخترنا طريقنا .

افتخار الدولة : أخشى أن يكون طريقكم قصيراً للغاية يا عبد الرحمن وأغلب الظن أن سيركم فيه سينتهي في هذه الليلة ولن تطلع عليه شمس الغد .

عبد الرحمن : ربما .. لكنه الطريق الذي يريح ضمائرنا ويلائم مبادئنا .. وعلى كل حال فلن نسير مثلك في الطريق إلى عسقلان . هيا أيها الرفاق . (يخرج ومعه بعض الفرسان) .

افتخار الدولة : هذا المجنون سيندم بعد قليل على قراره الأحمق . لكن ندمه سيأتي متأخراً .. وسنكون نحن في الطريق إلى عسقلان خارج هذا الجحيم . لن يعيش حتى يعرف أن تضحيته كانت مجردة من أي معنى وأن اختيارنا كان هو الصحيح . فسنظل على قيد الحياة لنقاتل من أجل ديننا ووطننا .

الجرجاني : لقد أعطيت له أكثر من فرصة ليرجع
عن عناده يا مولاي .

افتخار الدولة : ومع ذلك فلا أملك إلا أن أعجب
بشجاعته . لقد حاولت أن ألمح في عينيه بريق تردد
أو شاردة شك في أمره لكني لم أجد إلا شرارة العزم
والإصرار . الله معك يا عبد الرحمن أنت ورفاقك .
والآن ادخلوا رسل الفرنجة .

(يدخل الفرنجة) .

افتخار الدولة : لقد اتخذت قرارى .. أنا على
استعداد أن أغادر البرج مع رجالي لكن بشرط أن يتعهد
الأمير سان جيل شخصيا بالوفاء بكلمته ويعطينا الأمان
حتى نصل إلى عسقلان . وفي كل الأحوال فإننى لن
أتحرك من هنا إلا بسلاحى وعلى فرسى وكذلك
رجالى .

الرسول : اسمح لى أن أهنتك أيها القائد .. فقد
استجبت لصوت العقل ورفضت منطق اليأس الذى
يؤدى أحيانا بصاحبه إلى اتخاذ قرارات حمقاء .. نحن
نوافق على رغباتك التى عبرت عنها .. لكن عليك
التعجيل بالرحيل . فسيدي الكونت دى سان جيل يريد
أن يكون داخل محراب داوود هذه الليلة .

افتخار الدولة : قلت لك لن أتحرك إلا بتعهد شخصي من سيدك بالوفاء بكلمته .

الرسول : سيدى القائد .. نحن مفوضون تفويضا واضحا من مولاي سان جيل . وسأدع الفارس جيوم دى بارتيليمي يؤكد لك ذلك بنفسه وسأقوم بدور الترجمة .

(يتحدث مع الفارس الأفرنجي) .

الرسول : إنه يقول أن سيدى سان جيل هو الذى عرض بنفسه فكرة مغادرتكم القدس مع كل التكريم المناسب لعسكري كبير مثلك وأنه يأخذ على عاتقه شخصيا السهر على حياتك وحياة رجالك حتى تصلوا إلى عسقلان . وعندما نعود إليه بخبر موافقتك على الرحيل ستأتى قوة من رجالنا على الفور لترافقكم حتى مشارف عسقلان .

افتخار الدولة : أريدك أن تحمل رسالة شخصية منى إلى سيدك سان جيل .. قل له أن يتذكر اليوم ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب حين دخل بيت المقدس على ظهر ناقته البيضاء فاتحا للمدينة المقدسة بإذن الله . يومها طمأن بطرك الروم المسيحيين بأنه يؤمن حياة سكان مدينة السلام فلم ترق قطرة دماء واحد من

أهلها ورفض أن يصلى فى كنيسة القيامة خوفاً من أن يحولها المسلمون من بعده إلى جامع بحجة أن عمر أدى الصلاة بها .. قل له ...

المبعوث : نعم أيها القائد سأنقل رسالتك إلى سيدى لكنى استأذنك فى الرحيل على الفور لأن الوقت يمر بسرعة وسيقلق سيدى سان جيل من تأخرنا .. وأرجو أن تستعدوا لمغادرة البرج بحراسة فرساننا ..

افتخار الدولة (يهز رأسه فى أسى) : يبدو أن الأقدار قد استجابت لكم هذه المرة .. لكن لتعلم وليعلم سيدك أن الحرب سجال وأن دخولكم بيت المقدس اليوم ليس نهاية المطاف . إنما هو بداية مواجهة طويلة لن تخرجوا منها منتصرين .

الرسول : قل ما شئت إن كان ذلك يريح ضميرك أيها القائد .. لكن أورشاليم التى ندخلها اليوم منتصرين ستظل فى أيدينا إلى الأبد بمشيئة الرب وستبقى العاصمة الأبدية للمملكة اللاتينية فى الشرق ..

افتخار الدولة : بيت المقدس فى قلب العالم العربى .. ولن يكون لغير العرب .

(يخرج رسل الفرنجة) .

المشهد الخامس

(حجرة صغيرة نسبيا تقف في وسطها هند .
الحجرة بها عدة أرائك تبدو مريحة للجلوس .. يدخل
عليها افتخار الدولة ممسكا بلفة ثياب بين يديه) .
افتخار الدولة : يا حبيبتى .. لقد أحضرت لك
ملابس أحد الفرسان .. سترحلين معى بعد قليل إلى
عسقلان وكأنك واحد من فرسانى .. هيا .. ارتدى هذه
الملابس .

هند : مولاي .. يبدو لى أنك لا تريد أن تفهم .. أنا
لن أتحرك من هنا . وإن كنت بالفعل فى حاجة إلى
ملابس رجال فأرجو أن تعطيتها لى .

(تأخذ من يديه الثياب التى دخل بها فتركها لها
بطريقة آلية ويبدو عليه الذهول) .
افتخار الدولة : هند .. ماذا دهاك ؟ ماذا دهاكم
جميعا اليوم ؟

ما الذى يربطكم بهذا المكان وكأنه ملاذ من نار
جهنم ؟ أعلم أن الطريق إلى عسقلان هو طريق
المذلة والهوان لكنه الطريق الوحيد الذى يمليه
صوت العقل . تعالى يا حبيبتي أتوسل إليك .. ارتدى
هذه الملابس واتبعينى . أنت غير مدركة لما سيحدث
هنا خلال ساعات قليلة .. سيتحول هذا المكان إلى
بحر هادر من الدماء وسيشهد مجزرة بشرية لم
يعرف التاريخ مثيلا لها . ستسيل الدماء فى
الشوارع وكأنها أنهار وسترتفع الجثث فوق بعضها
البعض وكأنها جبال .

هند : أرجوك يا مولاي .. لتكن آخر لحظاتنا معا
بلا شجار . قل لى كلمات رقيقة .

افتخار الدولة : آخر ما كنت أتصوره أن تخذلينى
أنت أيضا يا هند . أنا جندى نشأت على خشونة الحياة
ولا أجيد فن تطريز كلمات الحب الرقيقة . لكنك
تعرفين ما فى قلبى من مشاعر .. تعرفين أنك واحة

الدفء التى كنت التجيء إليها عندما يضيق صدرى
بغباء المحيطين بى وبنفاقهم الفج وقلة حيلتهم . كنت
أشعر أنتى سأجذك دائما إلى جانبى عند الشدة . لكنك
تتخلين عنى فى أشد وقت أحتاج إليك فيه .

هند : لن أتخلى عنك إلى آخر لحظة فى حياتى ..
لكنك لا تدرك ما تطلبه منى .. إنك تريد أن تقتلعنى من
جذورى . إنك تطلب منى أن ...

افتخار الدولة : يا هند .. لا تعذبنى أكثر من
هذا .. لم يحدث من قبل أن توسلت إلى إنسان مهما علا
شأنه ولو كان خليفة المسلمين . لكنى أتوسل إليك ..
أتوسل إليك أن تعدلى عن قرارك المجنون . فعبد
الرحمن وإخوانه يريدون البقاء ليقال أنهم كانوا أبطالاً
ولتتغنى بشجاعتهم الأجيال القادمة .

هند : أنا لست بطلة .. ولا أريد أن يتغنى أحد
باسمى . لكننى قررت البقاء لأنه يستحيل على الرحيل
ليس إلا .. وأعلم أنتى أحببتك من كل قلبى ولا ألومك
على قرارك وأفهم دوافعك .. لكن اتركنى أقرر لنفسى
وأتحمل مسئولية مصيرى .

افتخار الدولة : للمرة الأخيرة .. افهمى أنهم

خانونا .. ولو كانت هناك فائدة من التضحية لكنت أول من يقدم رأسى على طبق من فضة .

هند : افهمنى أنت يا مولاي .. أنا لا يهمنى كل هذا . فقرارى لا علاقة له إلا بشخصى .. وأعلم أننى لا أضحي ولا أرى فى موقفى هذا بطولة أو عبرة لغيرى . كل ما أفعله هو أننى أسير وراء غريزتى وهى التى تملى علىّ فى هذه اللحظة البقاء فى أورشاليم .

افتخار الدولة : حسنا يا هند ستندمين أنت الأخرى . لكن الزمن سيكون أسرع من مشاعرك . الوداع يا هند . أدعو لك من كل قلبى .. ولو حدثت معجزة من عند الله ونجوت من نار جهنم التى ستشتعل هنا بعد رحيلى فأنت ستعرفين طريقى .

هند : الوداع يا سيدى . سألاقى قدرى وقد مهدت نفسى على مواجهته مهما كان . ولو كتب الله تعالى لى النجاة فتأكد أن مشاعرى نحوك لن تتغير وستجدنى فى انتظارك فى بيت المقدس . الوداع يا حبيبى .
(يتعانقان) .

المشهد السادس

(سكان القدس يبدون وهم فى حالة قلق بالغ يتحول إلى فزع مع تطور الموقف) .
امرأة أولى : ما الذى يحدث ؟ أين الجنود ؟ لقد اختفوا جميعا ولم يعد هناك من يدافع عنا .
رجل ثانى : لقد قضى الأمر فيما يبدو .. ولم تعد هناك فائدة من القتال .
رجل أول : لقد تركت الساحة خالية للفرنجة .
امرأة ثانية : انظروا .. انظروا .. الحائط يسقط تحت ضربات الفرنجة . إنها النهاية .. إنى خائفة .. خائفة .

رجل رابع : تماسكى يا امرأة .. إن جسدك ينتفض
وكان عفريتاً بداخله .

رجل ثالث : يا للكارثة . خيول الفرنجة دخلت
الأرض المقدسة .

امرأة ثالثة : سيقتلونا جميعاً .. لن يتركوا واحداً
منا حياً .

رجل أول : إنهم ينتشرون فى كل مكان . اختبئوا .
فلو رأونا سيذبحونا كالنعاج .

رجل ثانى : إنهم يتجهون ناحية المسجد الأقصى .
امرأة أولى : بيوت الله الطاهرة سيدنسها الفرنجة
النجسين .

امرأة ثانية : لن يتورعوا عن دخول المسجد
الأقصى بخيولهم .

رجل رابع : بل لن يتورعوا عن هدمه من
أساسه .. قاتلهم الله .

رجل أول : يا إلهى .. إنهم يقتحمون المنازل الآمنة
ويذبحون كل من بداخلها دون تمييز ..

امرأة ثالثة : واضح أنهم متعطشون للدماء ..
استرها معنا يا رب .

رجل ثالث : هيا نجرى ناحية هذه الفتحة الفارمة
لنخرج منها إلى بر النجاة .

امرأة ثانية : لا .. لقد تركت أولادى وحدهم ولا بد أن أعود إليهم .

امرأة ثالثة : أنا أيضا أولادى بالمنزل فكيف أتركهم وأهرب ؟ اتركونى .. سأعود الآن إلى دارى .
رجل رابع : أجننت يا امرأة ؟ كيف تعودين الآن ؟
الأطفال فى أمان أكثر منا .. لا يمكن أن تعودى ..
لا مفر من الهروب من هذه الفتحة .

رجل ثانى : هذه الفتحة الكبيرة إشارة من الله عز وجل . لقد أختارنا للإفلات من المجزرة .
امرأة أولى : وأهلنا ؟ أمى امرأة مسنة ولا تستطيع مواجهة هذا الموقف .. ستموت ذعرا قبل أن يقترب منها الفرنجة .

رجل ثالث : كفانا ولولة .. بعد دقيقة سنجرى بأقصى سرعتنا ناحية الفتحة .. إنه قدرنا .
رجل أول : نعم إنه قدرنا .. وربما كتبت النجاة لأهلنا . من يدري ربما تدرك هؤلاء الفرنجة الرحمة بعد تحقيق حلمهم الأعظم بدخول بيت المقدس .
رجل رابع : ارحمنا أنت الآن من هذا الكلام الفارغ .. لن يرحموا أحدا ..

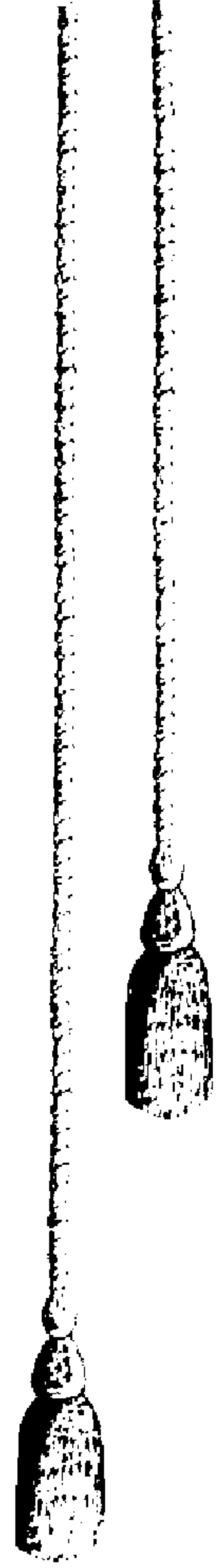
امرأة ثانية : يا إلهى .. هذا الفارس الافرنجى

ينظر ناحيتنا .. لقد رأنا .. انتهى كل شيء .
رجل أول : لا .. لم يلاحظنا .. إنما الخوف يجعلك
تتخيلين ما لا يحدث .

امرأة أولى : إنهم يبتعدون عنا .
رجل ثالث : لقد دخل كل فرسان الفرنجة الذين
كانوا وراء السور ومن ورائهم الجنود وتوغلوا داخل
المدينة وصار المكان خال فيما يبدو .
رجل ثاني : الآن .. الآن يا إخواني . اجروا
ولا تتوقفوا مهما حدث . وعندما نخرج نتجمع ناحية
اليسار .

امرأة ثالثة : نعم .. ليكون مصيرنا واحدا ..
رجل رابع : الموت أو النجاة من نار جهنم التي
اشتعلت الآن ولن تطفئها إلا آخر قطرة دماء في جسد
آخر واحد من سكان بيت المقدس .

ستار



الفصل الثانى

المشهد الأول

(نفس المنظر الذى ظهر فى بداية الفصل الأول
لمدينة القدس مع تقليل الإضاءة وكأن معالم القدس
أصبحت أكثر بعدا وأن النظر إليها يحتاج إلى مجهود
خاص) .

الكورس : الآن .. لم يعد العالم كما كان . لازالت
الشمس تشرق .. والقمر لازال يظهر فى السماء ..
لكن أشعة الشمس لم تعد مصدرا للدفع والحياة ..
وضوء القمر صار باهتا يشع الحزن والأشجان .. اليوم
وقعت الصاعقة فوق الرؤوس .. سقطت قدس
الأقداس .. ذهبت لايدي الأعداء .. غرق أهلها فى
بحر من الدماء .. بيت المقدس لم يعد لنا بعد أن ذبح
كل من فيه واستبيحت محرماته وسلمه من كان مكلفا
بالنود عنه .. كل الشخصيات التى رأيناها من قبل لن
نراها بعد الآن .. فهى تنتمى إلى عالم آخر .. عالم
ما قبل سقوط القدس .. فيوم السقوط هو الحد الفاصل
بين عالمين .. الحد الفاصل بين الموت والحياة .. بين
اليأس والأمل ..

المشهد الثانى

(ساحة داخلية لمسجد كبير بدمشق يجلس فيها حارسه . يدخلها بعد رفع الستار مجموعة من الرجال والنساء فى حالة هرج وتوتر شديدين ويبدو على ثيابهم المتسخة أنهم قاموا برحلة طويلة مضنية وأنهم عانوا كثيرا قبل الوصول إلى دمشق . يقوم الحارس عندما يتوجهون إليه بالكلام) .

رجل ثانى : أين القاضى أبو سعد الهروى قاضى قضاة دمشق ؟

امرأة أولى : قالوا لنا إننا سنجده هنا . أين هو ؟
حسن (حارس المسجد) : هو غير موجود

بالمسجد الآن . من أنتم ؟ وماذا تريدون من سيدى
القاضى ؟

امرأة ثانية : نحن من سكان القدس التعساء ..
رجل رابع : وقد قطعنا الطريق الشاق من هناك إلى
هنا للقاء القاضى .

حسن : القدس .. وكيف جئتم إلى دمشق ؟ لقد
سمعنا أن القدس سقطت فى أيدى الفرنجة .
رجل ثالث : نعم .. سقطت . سقطت ولم يقف أحد
إلى جوارها ..

امرأة ثالثة : سقطت وسنظل نبكى عليها أجيالا بعد
أجيال .
امرأة أولى : إنه عار على العرب وعلى أمة
الإسلام .

رجل أول : بيت المقدس اليوم بين أيدى من
لا يعرفون الرحمة .

الحارس : وأين أهلكم ونويكم ؟
امرأة ثانية : لا ندرى .. لقد أفلتنا بأعجوبة من
المذبحة التى قام بها الفرنجة . لم يفرقوا فيها بين رجل
أو امرأة أو طفل أو شيخ ..

رجل أول : وهرع أهل القدس فى كل مكان
كالسكارى لا يعرفون اتجاه سيرهم .

رجل رابع : أو كالأعمى حين يستشعر الخطر
فيجربى فى الخلاء دون أن يعلم متى سیرتطم بحاجز
أمامه .

امراة ثانية : أولادى .. أولادى .. لا أدرى أين
هم وما مصيرهم اليوم .. هل طالتهم سيوف الفرنجة
أم اختبأوا فى مكان أمين ؟ هل لا زالت تنبض قلوبهم
بالحياة أم ماتوا ميتة الفئران فى المصائد ؟

امراة ثالثة : أبنائى .. أحبائى .. هل تفكرون فى
الآن كما أفكر فيكم أم انعدمت أحاسيسكم إلى الأبد ؟
امراة أولى : لقد تركت أمى المسنة فى المنزل
وخرجت أبحث لها عن طعام .. فوجدت الفرنجة وقد
ظهروا فجأة وبدأوا يدهسون الناس بسنابك خيولهم
ويعملون بسيوفهم طعنا فى كل ما يتحرك فوق ظهر
الأرض .

رجل ثانى : أين القاضى الهروى ؟ لقد سمعنا عنه
كثيرا وقيل لنا إنه هو الوحيد الذى بوسعه أن يخرجنا
من محنتنا .

امراة ثالثة : قيل لنا أنه هو الذى يستطيع أن
يتصدى للفرنجة بقوة إيمانه وعظمة يقينه .
رجل أول : نعم .. هو القادر على أن يعبىء أمة

العرب والمسلمين لمواجهة الفرنجة .

رجل ثالث : سمعنا أنه يصرخ بأعلى صوته لجذب انتباه الناس والحكام للكارثة التي حلت علينا .

رجل رابع : ولا حياة لمن تنادى ..

امرأة ثالثة : لكن الأمر اختلف اليوم بعد أن سقط بيت المقدس ..

رجل ثانى : سيدرك الجميع أن أبا سعد كان على حق فى دعوته .

رجل ثالث : أين هو الان ؟ نريد أن نقابله على الفور .

الحارس : سيدى القاضى يعيش هو الآخر محنة يبدو أن الله تعالى يمتحنه بها . فابنه الوحيد يعانى من مرض عضال لم يجد الأطباء له دواء . لكن سيدى لازال يأمل فى شفائه ولا يكف عن الصلاة داعيا الله فى كل لحظة أن يبقى له ولده الوحيد .

(بعض الرجال والنساء يدخلون إلى المسجد بسرعة) .

ساكن انطاكية : سمعنا أن بعض سكان القدس الهاربين وصلوا إلى دمشق وأنهم يبحثون ...

رجل ثانى : نعم .. نحن أهل القدس ولم نتركها إلا بعد أن اشتعلت نارا وصارت خرابا ..

امرأة أولى : ومن أنتم ؟

الحارس : هؤلاء نزحوا مثلكم من ديارهم بعد غزو الفرنجة لبلادهم ولجأوا إلى دمشق أملا في النجاة .
ساكن معرة النعمان : وانتظارا لعودتنا مظفرين إلى أوطاننا بإذن الله .

رجل ثالث : من أى مكان نزحتم ؟

ساكن انطاكية : من عدة أماكن .. أنا من انطاكية .
ساكن المعرة : وأنا من معرة النعمان .
رجل رابع : معرة النعمان ..

امرأة ثانية : يا حسرتى على شهدائها .

رجل أول : سمعنا أنهم أكلوا بعض أهلها أحياء .
ساكن المعرة : نعم .. هذا صحيح عندما خرجت من مخبأى للهرب متسترا بعباءة الظلام فى المساء بعد سقوط المدينة رأيت بعينى عن بعد جسدا لم أتبين إن كان لرجل أو لامرأة معلق فى سيخ حديدى يدور فوق لهب النار والفرنجة يهللون من حوله وهم فى حالة هياج وانتشاء .

رجل ثانى : اللعنة عليهم .

امرأة أولى : لقد فعلوها لينتشر الخبر بين الناس فيصاب جميع العرب والمسلمين بالذعر ويهربوا من بلادهم بمجرد اقتراب الفرنجة .

امرأة ثالثة (موجهة حديثها إلى الرجل الثالث
الذى دخل المسجد) : وأنت أيضا من المعرة ؟
ثالث : لا .. أنا جئت مع زوجتى وأولادى من
حصن الأكراد بعد أن أنزلنا بالعدو هزيمة نكراء
بإمكانياتنا الهزيلة .. ثم انتظرنا أن يأتى لمساعدتنا أحد
فيفك عنا الحصار لكن آمالنا كانت واهية فلم يتحرك
أحد وسقط الحصن بين أيدي الفرنجة .
رجل رابع : أنتم السابقون ونحن اللاحقون .
ساكن الرها : نحن فى الهم سواء .
امرأة ثالثة : أخشى أن نتحول جميعا إلى مهاجرين
فى أرض الله الواسعة إذا استمرت الأحوال على
ما هى عليه اليوم .
(رجل مهيب يدخل المسجد دون أن يلحظه أحد فى
البداية . يتجه الحارس نحوه فور رؤيته) .
حسن : سيدى .. هؤلاء حضروا من القدس
ويروون قصصا غريبة ..
القاضى الهروى : من القدس .. أكنتم شهودا على
تدنيس الفرنجة لبيت المقدس ؟
سكان القدس (فى صوت واحد) : نعم
يا سيدى .
الهروى : (يهز رأسه أسفا) : يمكنكم أن تقولوا

لأولادكم أنكم عشتُم أسود يوم في تاريخ الأمة العربية
الإسلامية .. سيظل هذا اليوم المشئوم يوم خزي وعار
علينا وعلى من يأتي من بعدنا . أريد أن أسمع منكم
ما حدث .

امرأة أولى (بصوت منخفض) : من هذا
الشيخ ؟

امرأة ثالثة : أكون القاضي الهروي ؟
الهروي : أنا القاضي أبو سعد الهروي . وقد
علمت أنكم تبحثون عني فجئت أستمع إليكم .
(مهمة بين الحاضرين) .

الهروي : لماذا لا تجيبوني ؟ أريد أن أعرف
ما الذي حدث في بيت المقدس ؟

رجل أول : ما وقع لا يوصف بكل الكلمات التي
أخترتها عقل الإنسان .

رجل ثاني : ما حدث يفوق أبشع التصورات
يا سيدي القاضي مهما أوتي الإنسان من خصوبة في
الخيال .

الهروي : صفوا لي ما حدث كما رأيتموه بعيونكم .

امرأة أولى : لقد بدأ كل شيء صباح الجمعة

الحزينة عندما أخترق الفرنجة سور المدينة من الشمال .

رجل رابع : وكنا نحن في الجانب الآخر نسمع صيحات الاستغاثة بأذاننا ووقع سنابك الخيل تدك الأرض كطبول الحرب .

امراة ثالثة : وصرخات قادة العدو لحت رجالهم على القتل والذبح والتعذيب .

امراة ثانية : وصارت دماء عروقنا في برودة الثلج عند أوج الشتاء .

رجل ثانى : واقتربنا من حائط المدينة وكأنه مظلة أمان .

رجل أول : لكن الحائط تهاوى تحت ضربات الفرنجة .

امراة ثالثة : وتساقطت أحجار السور أمام عيوننا فشعرنا من خوفنا كأنها حمم متوهجة من بركان فقدت الطبيعة كل سيطرة عليه .

رجل رابع : فجأة وجدنا الفرنجة يندفعون بخيولهم كالوحوش الكاسرة .

امراة ثانية : وهم يرتدون دروعا حديدية تغطي أجسادهم ووجوههم فيبدون وكأنهم آلات شيطانية لا صلة لها بالإنسان .

رجل ثانى : وكان رجال سان جيل أكثر شراسة
ووحشية من الجنود الذين دخلوا المدينة من الشمال فى
الصباح الباكر .

امراة ثانية : كانوا فى حالة غليان لأن الجيوش
الأخرى دخلت بيت المقدس قبلهم .

رجل ثالث : لم يكتفوا بالقتل والذبح لكنهم كانوا
يتفنون فى تعذيب من يقع بين أيديهم قبل الاجهاز
عليه .

امراة أولى : وكأنهم يريدون تعويض تأخرهم عن
الآخرين .

رجل رابع : ورأينا الدخان وألسنة النيران ترتفع
من جهة الشرق .

امراة أولى : ومن ناحية الشمال .

امراة ثالثة : لا نعرف ما الذى أحرقوه .

رجل ثانى : سمعنا أنه المسجد الأقصى .

رجل ثالث : بالكارثة ..

امراة ثانية : ياللمصيبة .

الهروى : لا .. المسجد الأقصى سليم بحمد الله .

رجل ثالث : نحمدك يارب .

رجل أول : هل تعرف ما الذى أحرقوه يا سيدى

القاضى ؟

الهروى : لقد التجأ اليهود إلى معابدهم للصلاة والدعاء أن يخلصهم ربهم من أيدي الفرنجة .. فما كان من هؤلاء إلا أن سدوا منافذ المعابد على من بداخلها ثم أشعلوا فيها النيران فاحترق كل الذين بالداخل أحياء . ومن حاول منهم الخروج ذبح أمام المعبد ليكون عبرة لغيره .

رجل رابع : الغريب أنهم لم يرحموا النصارى وكان هؤلاء يظهرون الصليب أملاً فى النجاة فلا يعابى الفرنجة به وتنهال ضربات بلا رحمة ولا تمييز على كل من هو عربى من سكان أورشاليم .

الهروى : بل فعلوا أكثر من هذا .

رجل ثانى : ماذا تقصد يا سيدى القاضى ؟

الهروى : بعد أن أفرغوا شحنات العنف الدموى التى تفجرت داخل صدورهم منذ اللحظة التى وطأت فيها أقدامهم الأرض الطاهرة وبعد أن أجهزوا على جميع سكان المدينة ووصل ارتفاع الدماء إلى ركب فرسان الفرنجة تذكروا أنهم جاءوا بدعوى تخليص قبر المسيح عليه السلام .. فتوجهوا إلى كنيسة القيامة للصلاة وعيونهم تفيض بالدموع .. لكن أول ما صنعوه

فبل الصلاة كان أن طردوا منها بالقوة الجبرية جميع
القساوسة من كافة الملل المسيحية من روم وجورجيين
وأرمن وأقباط وسريانيين .

رجل رابع : لكن سيدنا عمر نفسه لم يفعل ذلك
عندما دخل أورشاليم .

الهروى : بل لم يفعلها أحد على مر التاريخ ما بالك
بسيدنا عمر . لم تنعم القدس بأيام زاهرة بالتسامح
وأحترام الغير مثل أيام عمر بن الخطاب .

رجل أول : لكن هؤلاء القساوسة هم حماة كنيسة
القيامة منذ اليوم الأول الذى أنشئت فيه ؟

الهروى : نعم .. إنما الفرنجة رفضوا الاستماع
إلى احتجاجهم . وعندما فوجيء القساوسة بهذا
التعصب الأعمى قرروا أن يقاوموا على طريقتهم
فرفضوا أن يدلوا الفرنجة على مكان الصليب الخشبي
الذى يعتقدون أن المسيح عليه السلام قد صلب عليه .
امرأة ثانية : لن يرحمهم الفرنجة .

الهروى : هذا ما حدث بالفعل .. فقد جن
جنونهم .. وهم يقومون الآن بتعذيب القساوسة بأبشع
الأساليب لا تتزاع أعترافهم بمكان الصليب الخشبي
ولم ينجحوا فى ذلك حتى الآن .

رجل ثانى : وكيف علمت بكل هذا يا سيدى
القاضى ؟

الهروى : لقد بلغ النبأ قساوسة دمشق .. وهم فى
حالة استياء شديد ويحاولون مساندة أخوانهم فى بيت
المقدس وتخليصهم من العذاب الرهيب الذى يتعرضون
له الآن .

رجل ثالث : أن النصارى عندنا يعتبرون أنهم
أقرب إلى المسيح من الفرنجة .

رجل رابع : وهم محقون فى ذلك .. ألم ير نور
الحياة بالناصرية فى قلب فلسطين ؟

امرأة ثالثة : ولم يفارق هذه الأرض المباركة
طوال حياته إلا عندما هرب إلى مصر مع أمه وهو
رضيع .

الهروى : إنما الفرنجة يعتبرون أنفسهم ورثة
المسيح الوحيدين فى الدنيا .

حسن : يا أخوانى .. احمدا الله أنكم هربتم من
هذا الجحيم .

ساكن حصن الأكراد : حقا .. فحظكم أفضل من
كل هؤلاء الذين ذبحوا دون أن يملكوا فرصة
المقاومة .

ساكن انطاكية : أو النساء والأطفال الذين تعرضوا
للسبي ولا يعرفون الآن ما مصيرهم .

رجل ثانى : ياليتنا ما هربنا .. أنه عار علينا ..
كان الأفضل أن نبقى ونلقى مصير أهلنا .

رجل أول : لقد عشنا معهم سويا دائما على الحلو
والمر فلماذا نفترق الآن أمام ضربة القدر الحزين ؟
امرأة أولى : يا رب .. كيف نستطيع أن نعيش
خارج بلادنا الآن ونحن مرفوعي الرأس ؟

رجل رابع : على ما نبكى ؟ أنبكى على أهلنا الذين
تركناهم لمصيرهم الأسود ؟ أنبكى مذلة الهروب من
ديارنا ومن أرضنا الطيبة ؟

امرأة ثالثة : أم نبكى حالنا البائس فى الغربة ..
مشتتين بلا أرض ولا هوية ؟

القاضى : لا .. لا تحزنوا أيها الأخوة .. الهجرة
ليست عيبا ولا عارا .. أن أول المهاجرين كان سيدنا
الحبيب محمد بن عبد الله . أنسيتم أنه ترك مكة
المكرمة تحت وطأة الاضطهاد وذهب إلى يثرب حيث
أكرمه أهلها . أليس يوم هجرته هو بداية التقويم الذى
نسير عليه لمعرفة الأيام والشهور والسنين .. فالهجرة
فى وقت الشدة أمر طبيعى بل هى أمر مطلوب لمن

يعانى من المحن .

امراة ثانية : لا تحاول أن تهون علينا يا سيدى
القاضى .

الهروى : أبدا والله . فما أقول إلا الحق . الهجرة
أمر مطلوب عند الضرورة لكن بشرط .. وهو أن
يتعهد من يقدم عليها بالعمل الجدى استعدادا للعودة فى
أفضل الظروف إلى وطنه الذى هاجر منه . فسينا
محمد عليه الصلاة والسلام أنطلق من المدينة المنورة
ثم جاهد فى سبيل الله حتى أزهق الباطل ودخل مكة
معززا مكرما بعد أن تركها مضطهدا مستضعفا ..
وأنتم هنا بين أهلكم . فأهل دمشق يتحدثون العربية
مثلكم وهم مسلمون مثلكم ولهم مثلكم نفس العادات
والطبائع والقيم والتقاليد . فأنتم لستم فى بلاد غريبة .

امراة أولى : والله ما لقينا حتى الآن إلا كل
ترحيب من الناس البسطاء الذين ذرفوا الدموع عندما
استمعوا إلى ما مر بنا .

رجل أول : وكان الناس فى الطريق يتسابقون
لخدمتنا وتقديم كل ما لديهم بغير أن نطلب منهم شيئا .
امراة ثانية : برغم ظروفهم الصعبة والفقر الذى
يلهب ظهورهم كالسوط اللاسع .

الهروى : هذا ما أتوقعه من أهل دمشق .. ومن الآن فصاعدا فإن عليكم يا اخواني التحلى بأمرين هما الصبر واليقين .. الصبر على الشدة التى أختار الله سبحانه وتعالى أن يمتحنكم بها واليقين بأنكم عائدون بأذن الله إلى بيت المقدس الذى عاش فى ظل الإسلام أروع أيام التسامح والانفتاح .

رجل ثالث : لكننا لن نعود إلا بعد أن نحقق الانتصار ونكيل للفرنجة ما كآلوه لنا .

امرأة أولى : لن نترك رجلا أو طفلا أو امرأة إلا ونسحق رأسه سحقا كما فعلوا بأبنائنا وأخواتنا .

رجل أول : أما نساؤهم فستدفعن غاليا ما حدث لزوجاتنا وبناتنا .

امرأة ثالثة : نعم .. والله لن نرحمهن .

امرأة أولى : لن يهدأ لأهلنا بال إلا بهذا ونحن لن نخذلهم .

رجل رابع : لا .. بل سننتقم لهم شر أنتقام وسوف تسيل دماء الفرنجة بحارا نغسل بها عارنا .

امرأة أولى : سنجعلهم يركعون أمامنا طلبا للرحمة .

رجل ثالث : فنقطع أطرافهم ثم رؤسهم ونلقى

بجيفهم إلى الضباع والنسور .

القاضي : يا أخوانى .. يا أخوانى .. ما تقولوه فى فورة الغضب والحماس كلام لا يقره ديننا ولا تقره القيم والأخلاق التى يجب أن نتحلى بها فى وقت الشدة .

امراة ثالثة : أذبحون نساءنا وأطفالنا وتطلب منا الصفح والامتناع عن معاملتهم بالمثل .
الهروى : إنما الرغبة المريضة فى الإنتقام ليست هى السبيل .

رجل ثانى : لو عشت ما عشناه لما قلت ذلك .
امراة ثانية : لسنا ملائكة يا سيدى ولا يمكن أن نترك ما جرى وكأن شيئاً لم يحدث ..

الهروى : لا أطلب منكم ذلك .. فأنا أول من ينادى بالجهاد الصحيح . وعلينا أن نعمل بكل عزائمنا لنستعيد بيت المقدس لكنه لا ينبغى أن نحلم بقتل الأطفال والشيوخ والاعتداء على أعراض النساء . وإلا فما الفرق بيننا وبينهم ؟ فليبق بيت المقدس إذا بين أيديهم إن كنا ننوى أن نحوله مرة جديدة إلى بركة من دماء الأبرياء . فبأى حجة ندعو الله أن ينصرنا عليهم إذا كنا مثلهم نمارس المعاصى ونرتكب الجرائم التى لا يقرها الدين ولا الضمير ؟

رجل أول : إذا فقل لنا ماذا نفعل يا شيخنا الجليل ..
فنحن نوّمن بما تقول ولن نسمع لأحد غيرك .
امرأة ثالثة : نعم .. لقد خدعنا الجميع .. خدعنا
ساداتنا وكبراؤنا ولم نعد على استعداد لتصديق
ما يقولون .
امرأة أولى : لم يقوموا بأبسط واجباتهم نحونا وهى
حماية حياتنا وأموالنا وأعراضنا .
رجل رابع : تركونا نتعرض للذل والهوان على يد
أعداء الله وهم عاجزون عن مواجهتهم .
رجل ثالث : نحن رهن أشارتك يا سيدى
القاضى .. فقل لنا بالله عليك ماذا نفعل .
الهروى (يطرق لحظات) : لا يوجد إلا حل
واحد ..

رجل ثانى : ما هو يا سيدى ؟
امرأة ثالثة : قل لنا ما هو قرارك يا مولاي .
الهروى (يسرح قليلا قبل أن يجيب) : قبل أن
أخطركم بقرارى الذى لا أرى بديلا عنه هناك أمر لا بد
أن أنجزه . انتظرونى قليلا هنا . لن أغيب عنكم
كثيرا .. يا حسن أحضر لأخواتنا الأعزاء الطعام
والشراب حتى أعود .
حسن : حاضر يا سيدى . (يخرج الهروى)



المشهد الثالث

(حجرة بسيطة داخل منزل أبو سعد الهروى فى جانب منها سرير مغطى بناموسية . يقف القاضى وإلى جانبه زوجته وكأنهما يستكملان مناقشة بدأت قبل تسلط الأضواء عليهما . تقف إلى جانبهما شقيقة الهروى) .

زوجة الهروى : ماذا تقول يا أبا سعد ؟ تتركنا فى هذا الحال وتذهب إلى بغداد .. كيف .. أبننا الوحيد بين الحياة والموت .. وعندما يهذى فى المساء لا يردد إلا كلمة واحدة : أبى .. أبى .. ان وجودك إلى جانبه حافز له على الحياة . وأنت تريد أن تتركه فى هذا

الحال . كلميه يا أم مروان فأنت شقيقته الكبيرة ..
أم مروان : والله لا أدري ما أقول .. فأنا في ذهول
من هذا القرار المفاجيء .

الهروى : لا تجعلي الأمر أكثر صعوبة على نفسي
يا أم الحكم . أعلم أنكم تحتاجون لوجودي إلى جانبكم
في هذه اللحظات العصيبة لكن أفهميني المسألة لم تعد
قضية شخصية .. فمصير الأمة الإسلامية في خطر .
الزوجة : وتريد أن تقنعني أن ذهابك إلى بغداد
سينقذ الأمة الإسلامية من محنتها يا أبا سعد ؟
يا رجل .. الأمة الإسلامية لها رب قادر عليم يرعاها .
ولها خليفة يسهر عليها ولها جيش جرار يضم آلاف
الفرسان ولها قادة يحمونها عند الخطر . أما أنت
فمهمتك القضاء وقد كلفك مولانا دقاق رعاه الله بالفصل
بين الناس بالحق ولم يكلفك بالدفاع عن أمة الإسلام .
إنما هذه مهمة غيرك .

الهروى : لكن غيري لا يقوم بها .. لقد أصيبت
أمتنا بالترهل وانعدام الأحساس .. وهي اليوم في حاجة
إلى صدمة عنيفة تفيقها من هذا الحال التعس ..
الزوجة : فليتول غيرك أعطاءها هذه الصدمة .

الهروى : لست أنا الذي سيجعلها تفيق من سباتها

ولا أدعى أننى أملك ذلك .. فالوحيد القادر على
زراعة الضمائر وتحريك المشاعر هو خليفة الدولة
العباسية أمير المؤمنين المستظهر بالله . لذا لابد أن
القاء .. لابد أن أشرح له الأوضاع على حقيقتها فيقبنى
أنه لا يدرك حجم الكارثة ..

أم مروان : لماذا يا أخى أيعيش الخليفة فى القمر
أم يعيش بيننا على ظهر الأرض ؟ ألم يعلم بسقوط
أورشليم ؟ ألم يسمع منذ عامين عن زحف الفرنجة
الكاسح الذى سينتهى الى قصره بإذن الله إن لم
يتحرك .

الهروى : يقبنى أن من حوله يخفون عنه الحقائق .
يقبنى أنهم كالجدار العازل بينه وبين مشكلات الناس
الحقيقية .

أم الحكم : لقد قال الطبيب أن الأيام الثلاثة القادمة
ستكون فاصلة .. ومن الوارد تماما لا قدر الله أن
يموت فى أى لحظة خلال هذه الأيام . أيهون عليك أن
يموت ابنك وأنت فى الطريق إلى بغداد فى رحلة يائسة
تعلم أنها لن تقدم ولن تؤخر فى شىء ؟

الهروى : لو كنت أعلم ذلك لبقيت إلى جواره يا أم
الحكم . لكن الأمل يملأ قلبى بأن مهمتنا فى بغداد

ستكون ناجحة وسنقتنع الخليفة بخطورة الأوضاع حتى
يتخذ قرارا فوريا بتشكيل جيش عظيم يطرد الفرنجة
من أرضنا الطاهرة .

أم الحكم : وابنك يا أبا سعد ؟ أنا لا أتحدث عن
نفسى وحاجتى إلى وجودك فى هذه المحنة . لكن
أبنك .. ألا تتخيل أن رحيلك سيقضى على آخر فرصة
لنجاته من المرض ؟ ألا تدرك أنه عندما يسمع صوتك
كالخيال وهو فى غيبوبة الحمى ويستشعر وجودك إلى
جانبه فإن هذا الاحساس يدخل الدفء فى جسده
ويحفزه على التثبيت بالحياة .

الهروى : أرجوك يا أم الحكم .. أرجوك ..
لا تجعلى شعورى بالذنب يطفى على إحساسى
بالواجب إزاء وطنى وإزاء دينى . أنت أكثر من يعلم
فى الدنيا كم أتعذب منذ زمن طويل بسبب تمزق أمة
العرب .. كم مرة رأيت الدموع فى عيني وأنا أجلس
وحدى بسبب ما آلت إليه أمتنا . وكنت أحدثك عن ألى
وحسرتى على النزاعات المستمرة بين ملكنا دقاق
وشقيقه من لحمه ودمه رضوان ملك حلب .

زوجته : أعلم كل هذا وكم قلت لك لا تعذب نفسك
لأمر لا يد لك فيه ولا تستطيع أن تغير فيه شيئا ..
فأنت لن تغير حال الدنيا .. وأكرر لك نفس الكلام

الآن .. تستطيع أن تساهم في انقاذ حياة ابنك الحكم
ببقائك إلى جواره بالدار لكن ذهابك إلى بغداد لن يكون
له أى أثر فى مسار أمور أمة العرب والمسلمين . حالنا
البائس لن يتغير بمجرد لقاء بينك وبين الخليفة يا أبا
سعد .

الهروى : احتمال الفشل لن يثني عن المحاولة .
سأسافر غدا بإذن الله على رأس أهل القدس الذى
حفظهم الله من المذبحة ربما ليكونوا شهودا أحياء أمام
العالم وأمام الخليفة .

أم مروان : بصراحة أنا لا أوافقك على هذا القرار
يا أخى .. أن كنت مصرا على السفر إلى بغداد فأجل
رحيلك لبضعة أيام حتى يأخذ الله بيد ولدك الحكم
وتسافر مطمئن البال .

الهروى : لا أستطيع .. لا أستطيع يا أم مروان ..
الأمر لا يحتمل التأجيل .. لو رأيت عيون أهل القدس
الأشقياء ولمحة الأمل التى تلمع فى نظراتهم إلى لما
قلت هذا .. حضرى لى ما أحتاج إليه من ثياب يا أم
الحكم وسأطلب من حسن أن يحضر لنا بعض
المؤونة . فالرحلة ستكون شاقة وطويلة . لكن العناء
الحقيقى لن يكون عناء ماديا لأن قلبى سيتمزق فى كل

خطوة من خطوات الطريق على ولدى الحبيب .
أم الحكم : أهذا قرارك الأخير يا أبا سعد ؟
الهروى : نعم .. على أن أقوم بواجبي حيال أهلى
ووطنى ودينى حتى لو أدى ذلك إلى أن أدوس على
قلبي ومشاعرى الخاصة . سامحيني يا أم الحكم .
وليسامحني أبني الحبيب .. سادعو له من كل قلبي
وأملى كبير أن يستجيب الله تعالى لدعائى فهو عليم
بالبركان الذى يتفجر فى صدرى الآن . أما أنت فلك
الله عز وجل .. وأرجوك أن تدعى من أجل شفاء ابننا
الغالى ولا تنسى فى دعائك أن تذكرينى .. فأنا أيضا
فى حاجة إلى الدعاء حتى يوفقنى الله تعالى فى مهمتى
العسيرة . يا أم مروان .. لا تتركها وحدها فى هذه
المحنة .. أعلم أن لديك مسئولية بيتك وزوجك
وأولادك .. لكن أتوسل إليك .. لا تتركها .
أم مروان : اطمئن يا أخى .. إن كان قلبك قد
طاوعك على أن تترك ابنك وزوجتك فى هذه الحال فأنا
عن نفسى لن أقوى على ذلك .
الهروى : أعلم أنه يمكننى أن اعتمد عليك ..
السلام عليك يا زوجتى الحبيبة .. السلام عليك يا أم
مروان .. أدعوا الله أن يوفقنى فى مهمتى فدعائكما

سيزيدنى صلابة واصراراً ..
(يتوجه إلى الفراش ويقبل ابنه ثم يتوجه إلى
الخارج) .



المشهد الرابع

(ساحة المسجد كما رأيناها فى المشهد الثانى .
أهل القدس متجمعون وأمامهم القاضى الهروى .
الكل جالس . عيون الجميع متجهة ناحية الهروى) .
رجل أول : والآن ما العمل يا سيدى ؟ الدنيا صار
لونها أسود فى أعيننا .
امرأة أولى : ولا يوجد لنا رجاء سوى أنت وأمثالك
من الرجال المتفانين فى خدمة أمتهم ..
امرأة ثانية : ياليتك وأمثالك كنتم من المحاربين
أو من الحاكمين .. فلو أن بينهم من يملك نصف
غيرتك على الإسلام لتغير وجه أمتنا .

رجل ثالث : لكن للأسف فأنت لا تملك سوى كلمة الحق التى لم تعد تنفع فى الغابة التى نعيش بها اليوم .
رجل ثانى : الحق دون قوة تنصره كالسيف الباتر وهو ساكن فى غمده لا يخشاه أحد .

الهروى : أنتم مخطئون يا أخوانى .. أن لدينا الكثير .. أنسيتم أن لدينا خليفة للإسلام والمسلمين ؟ أنسيتم أن خليفة رسول الله لا زال حيا يرزق برغم كل المصائب التى هبطت على أمة الإسلام . أنسيتم أنه يتربع فى مكان أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلى بن أبى طالب ؟ أليس من أحفاد هارون الرشيد والمأمون والمعتصم الذين نصرروا أمتنا وجعلوها مرهوبة فى الأرض ؟ فهل كان الفرنجة يجرأون فى عصرهم على مجرد الاقتراب من ديارنا ؟
امرأة ثالثة : لكنه عصر ولى يا مولاي .

رجل أول : أنت تتحدث عن زمن راح ولم يعد سوى نكرى فى عقولنا وضمائرنا ..

رجل رابع : الخليفة اليوم يا سيدى هو ظل شاحب لأجداده العظام ولا يحكم الأمة كما كانوا يفعلون بل ربما لا يحكم حتى القصر الذى يعيش فيه .

امرأة ثانية : والله لو أعطى المستظهر بالله امرا بقتال الفرنجة لأنطلقت الضحكات من حناجر أقرب

رجالهم لأنهم يعلمون أن أحدا لن يستمع إليه أو يلقي بالا
لما يقول .

امرأة أولى : الرجل الذى يحكم بغداد اليوم هو
السلطان برقيارق وكل ما يهيمه هو تأكيد سلطانه على
أكبر رقعة ممكنة من البلاد وارهاب جيرانه حتى
لا يعتدون على مملكته .

امرأة ثالثة : وقمع الأهالى حتى لا يطالبون بأبسط
حقوقهم .

الهروى : لا بأس .. لنلقاه هو الآخر بعد الخليفة ..
حتى نستميل إلى جانبنا السلطة الدينية والروحية
للمستظهر بالله بالإضافة إلى القوة المسلحة للسلطان
فنجمع بذلك عناصر الشدة التى تسمح لنا بمواجهة
الفرنجة . لكنى مقتنع أن كلمة من الخليفة لها تأثير
يتعدى بمراحل نفوذ هذا السلطان برقيارق .

رجل أول : وهل سيستمع لنا هؤلاء السادة الكبار ؟
امرأة ثانية : هل يقبلوا لقاءنا أصلا ؟

الهروى : كيف لا يقبلون وأنتم تجسّدون حتى للمحنة
التي يعيشها العالم العربى الإسلامى . ومهمة الخليفة
بإذن الله هي إخراج الأمة من هذه المحنة .

رجل ثانى : يا سيدى .. أن هزائمنا المتكررة

وسقوط القدس هي غضب من الله عز وجل علينا
ولا يستطيع الخليفة ولا أى قوة على وجه الأرض أن
يغيروا من الأمر شيئاً .

امرأة أولى : نعم .. لقد أهملنا فى ديننا وتركنا
تعاليم الله عز وجل وهذا عقاب من السماء .

الهروى : كفى هراء .. هل كتب علينا أن نتنصل
من المسئولية فى كل شىء ؟ أعندما نهزم بسبب تخلفنا
وتقاعسنا نعلق فشلنا على الدين ؟ أنتمسح بالله عز وجل
لتبرير نكستنا ؟ واجهوا الأمر الواقع ولو مرة واحدة ..
فربما كان فى ذلك شفاء من خيبتنا لكنه يبدو أننا فطرنا
على تبرير كل فشل بأمر خارج عن إرادتنا وتبرئة
أنفسنا دائما من أى خطأ .

رجل رابع : وهل تعتبرنا مسئولين عن الكارثة التى
وقعت يا سيدى ؟

الهروى : كل واحد منا مسئول عنها .. كل من لم
يقم بعمله على خير وجه وكل من تنازل عن حقوقه
وكل من رأى منكرا وسكت عنه مسئول عما نحن فيه
اليوم .

امرأة ثالثة : لكننا ندفع ثمنا باهظا يفوق طاقة
تحملنا يا سيدى .

الهروى : أعلم ذلك .. ولذا فعلينا أن نتحرك
بسرعة قبل فوات الآوان .. هيا يا أخوانى .. لنرحل
إلى بغداد غدا بعد صلاة الفجر مباشرة ولنستعن بالله
حتى يوفقنا فى مهمتنا .

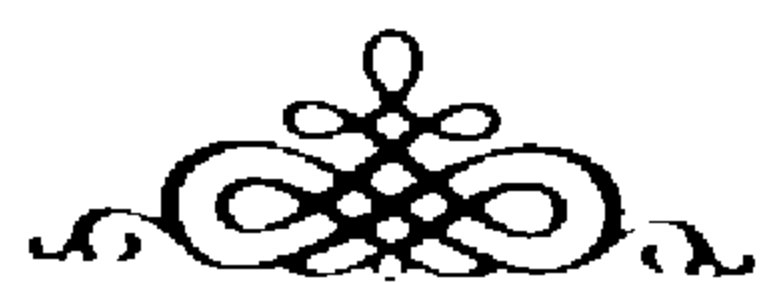
رجل ثانى : ونحن معك يا سيدنا الجليل .
امرأة ثانية : سنجيز الطعام والشراب اللازم
لرحلتنا الطويلة ..

رجل أول : نعم .. انها لن تقل عن ثلاثة أسابيع .
امرأة ثالثة : إذا سنصلها فى شهر رمضان المبارك
بإذن الله .

رجل ثانى : لعله قال يبشر بالخير .
رجل رابع : لكن أعلموا أنها ستكون رحلة شاقة
سنسير خلالها فى صحراء قاحلة لا ظلال بها إلا ظلال
أجسادنا .

الهروى : كل شىء يهون فى سبيل لقاء الخليفة
المستظهر بالله واطلاعه على الكارثة التى وقعت على
رؤوسنا . أذهبوا الآن لتناولوا قسطا من الراحة .. أما
أنا فقد قررت أن أحلق شعر رأسى حزنا على قدس
الأقداس ولن أترك شعرة واحدة تنبت بعد اليوم فى

رأسى إلا عندما نسترد بيت المقدس بمشيئة الله من
أيدى المعتدين .



المشهد الخامس

(أمام مدخل قصر الخليفة تجمع المصاحبون للهروى وهو على رأسهم . الرجال حلقوا شعورهم تماما وتركوا رؤوسهم عارية . يقترب الجميع من البوابة وراء الهروى فيتصدى لهم الحراس ويسدون عليهم الطريق بالحراب) .

سفيان قائد الحرس : مهلا .. مهلا .. أتظنون أنكم تدخلون حانة من الحانات ؟ أنتم أمام قصر الخليفة .. أبتعدوا على الفور وإلا طلبت من الحرس ضربكم بالسيوف .

الهروى : لماذا أيها الجندي .. أتظننا من الفرنجة ؟

أننا عرب مسلمون جئنا من دمشق للقاء خليفة رسول الله المستظهر أطلال الله في عمره .

سفيان : لقاء الخليفة .. أتظن يا شيخ أن الخليفة لديه متسع من الوقت للقاء أمثالكم ؟ أنه مشغول الآن .
الهروى : نريد أن نتحدث مع أحد المقربين للخليفة لنشرح له سبب مجيئنا ولينقل للخليفة رسالة منا وعندئذ سيأمركم بإدخالنا على الفور . أنا القاضي أبو سعد الهروى قاضي قضاة دمشق فأذهب وإت لنا بأحد نتفاهم معه .

سفيان : لن أحضر لكم أحدا .. وأن لم تذهبوا على الفور فسوف أضطر لاستخدام القوة
(مهمات احتجاج من جانب سكان القدس) .

رجل أول : ما هذه المعاملة ؟

رجل ثالث : أهكذا تعاملون ضيوفكم ؟

امرأة أولى : لن نتحرك من هذا المكان إلا بعد لقاء الخليفة .

امرأة ثانية : ياليتكم تعاملون الفرنجة بنفس الشجاعة .

(رجل من حاشية الخليفة يظهر من خلف البوابة على هذه الأصوات) .

رجل الحاشية : ما هذه الضجة يا سفيان ؟ من هؤلاء ؟

سفيان : هذا الرجل يدعى أنه قاضى قضاة دمشق
يا سيدى ويريد لقاء الخليفة مع هؤلاء .
رجل الحاشية : ومن هؤلاء ؟

الهروى : أنهم من أهالى بيت المقدس فروا من
المنبحة التى قام بها الفرنجة هنا . ونحن نريد لقاء
الخليفة لنروى له ما حدث .

الرجل (يقترب من الهروى) : لقاء الخليفة :
أتحسب أن ذلك أمرا سهلا .. حتى بالنسبة لشيخ جليل
مثلك ؟

الهروى : ولم لا ؟ أليس أمير المؤمنين ؟ أليس
الرجل الذى يسهر على حل مشكلات المسلمين أينما
كانوا وأيا كانت مكانتهم ؟ أم تريد أن تقول أنه لا يلتقى
سوى بنوى البأس والجاه والمال ؟

رجل الحاشية : لا أقصد هذا . لكن وقته مكتظ
بالمشاغل ولا يستطيع أن يلتقى بأى واحد من الرعية
يريد أن يقابله وإلا لقضى كل وقته فى الاستماع إلى
مشاكل الناس .

الهروى : كلام غريب .. ألا تعرف أن رسول الله

كان يلتقى بالناس ويستمع إلى شكواهم ويناقشهم في أحوالهم ؟ ألا تعرف أن كل الخلفاء الراشدين كانوا ينزلون إلى الناس ويجادلهم العامة في أمور الدولة ؟ فهل الخليفة المستظهر أعلى شأنًا من كل هؤلاء ؟

رجل الحاشية : بالطبع لا .. لكنه في السابق كانت الظروف اهدأ وكان الناس أقل طمعا وجشعا فكان بوسع الخليفة أن يلتقى بمن له شكوى مهما كان شأنه . أما اليوم فقد اختلفت الأوضاع وأصبحت الأمة الإسلامية مترامية الأطراف والخليفة لا يرى إلا من له مشكلة عامة تخص أمة الإسلام بأسرها .

الهروى : وهل هناك قضية أهم أو أخطر من سقوط بيت المقدس ؟ أتريد أن توهمنى بأن الخليفة لديه مشاغل أهم من هذه الكارثة التى حلت على رؤوسنا جميعا ولا يستطيع أن ينجينا منها إلا أمير المؤمنين بما لديه من هبة ومكانة بين كافة المسلمين .

رجل الحاشية (ينتحى جانبا بالهروى ويخفض صوته بعض الشيء) : سأحاول التدخل كي يستقبلكم الخليفة .

الهروى : بارك الله فيك وجعل موقفك هذا حسنة لك يوم القيامة .

رجل الحاشية : لكن المشكلة أن بعض المحيطين
بالخليفة لا يحبون كثيرا أن يلتقى بأصحاب المطالب
وهم ...

الهروى : مطالب ؟ وهل نحن أصحاب مطالب ؟
أنا لا نريد إلا ..

رجل الحاشية : أيها الشيخ الجليل .. لا تجادل فلا
وقت عندي للجدل .. إن كنت حقا تريد لقاء أمير
المؤمنين فلا بد من إرضاء المحيطين به والذين
يتحكمون فيمن يرى ومن لا يرى .

الهروى : لا مانع من ذلك .. ولكن كيف
أرضيهم ؟

رجل الحاشية : أعتقد أن مائة دينار ستكون
كافية .. وسوف أضغط عليهم كي يقبلوا بها . فلقاء
الخليفة يساوى أكثر من هذا بكثير وقد يعود بنفع كبير
كما تعلم .

الهروى : ماذا ؟ أطلب رشوة لادخالنا عند
الخليفة ؟ أم خائني سمعي ولم أفهم ما تريد ؟ أنك ...
رجل الحاشية : أخفض صوتك يا رجل . يبدو أن
التفاهم معك ليس سهلا .. ليس لدى وقت أضيعه
معك .. أنا أحاول أن أساعدك لكنه يبدو لي أنك لا تريد

أن تفهم ..

الهروى : بل لا أريد غير ذلك . ما تطلبه هو أن أدفع لك مائة دينار في مقابل أن تدخلنا على الخليفة أليس كذلك ؟

رجل الحاشية : ها قد فهمت . ولا تحلم بحل آخر للقاء أمير المؤمنين . فالمحيطون به لن يمكنوك من ذلك مهما فعلت . فلا تتعب نفسك وتضيع وقتك هباء .. إن كنت حقا تريد لقاء الخليفة فعليك أن تعطينى المائة دينار وسأحاول إقناع المقربين منه . ولست واثقا أنهم سيقبلون ..

الهروى : لا عليك يا رجل .. فلا أريدهم أن يقبلوا .. أنا أرفض مثل هذه الصفقة الرخيصة واربا بخليفة رسول الله أن يستقبل رعيته مقابل حفنة من المال ..

رجل الحاشية : إذا فاتركوا هذا المكان على الفور ..

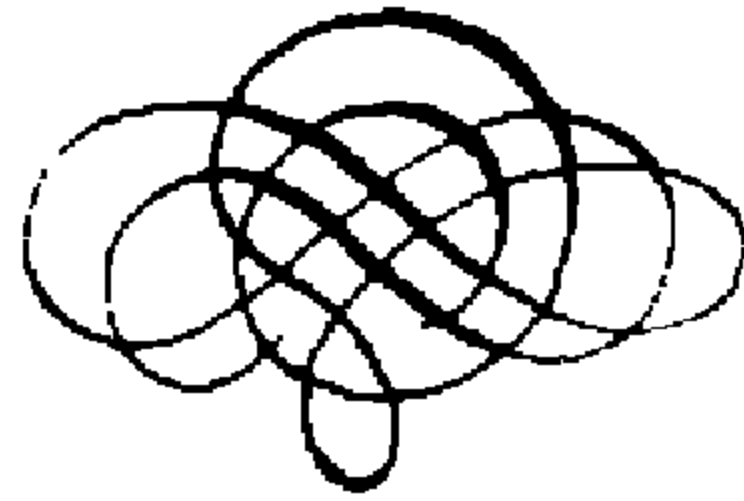
الهروى : هيا بنا يا أخوانى .. سنعود للقاء الخليفة فى وقت آخر .

(يبتعد الهروى ومن معه) .

رجل الحاشية : يا شيخ .. (يقترب منه الهروى)

أنصحك إلا تحكى لمخلوق ما حدث الآن . فلن تتحمل
نتائج ذلك . المقربون للخليفة لا يحبون الثثرة .
وعندما تيأس من لقاء الخليفة بوسيلة أخرى يمكنك أن
تعود إلينا وسأحاول أن أساعدك .

الهروى (يعود إلى ناحية مرافقيه) : لنغادر هذا
المكان على الفور فالرائحة المنبعثة منه تزكم الأنوف
ولم أعد أطيق أن أتنفسها .



المشهد السادس

(شارع من شوارع بغداد . سكان القدس
يحيطون بالهروى . بعضهم جالس والبعض الآخر
واقف ثم يقف الجميع) .

رجل أول : ما الذى حدث يا سيدى ؟ لماذا رفضوا
أن يدخلونا إلى القصر للقاء الخليفة ؟
امرأة ثانية : ولماذا لم تفتح فمك بكلمة منذ أن تركنا
قصر الخليفة ؟

رجل ثالث : أرجوك يا سيدى القاضى .. بحق هذا
الشهر المبارك .. لم يعد لنا غيرك نعتمد عليه . فلا
تتركنا هكذا دون أن تشرح لنا ما يحدث .

رجل رابع : لقد مرت ساعات دون أن توجه لنا كلمة واحدة .

امرأة ثالثة : نعلم أن فكرك مشغول بابنك شفاه الله ولا زلنا بلا أخبار عنه .

امرأة أولى : يعلم الله أنه لم يمر يوم واحد منذ غادرنا دمشق لم ندع فيه من أجل شفائه .

الهروى : صورة ابني المريض لم تغادر مخيلتي لحظة واحدة منذ أن تركنا دمشق .. لكن سبب صمتي الآن هو خوفاً من الفشل فى إنجاز ما أتينا من أجله . رجال الخليفة يقفون كالسد المنيع بينه وبين الناس .. كل ما توقعته كان صحيحاً . أنهم يتحكمون فى الصورة التى يرى بها الدنيا وممنوع على أى إنسان إعطاؤه صورة مختلفة عن تلك التى يرسمها له هؤلاء المستفيدون حسب أهوائهم ومصالحهم . هذا سر المحنة الكبرى التى نعيشها .

امرأة ثانية : وما الذى نستطيع أن نفعله الآن يا سيدى ؟

الهروى : هذا ما كنت أفكر فيه .. ولذا لم أكن أجيب على أسئلتكم لأننى لم أتوصل إلى قرار نهائى حتى الآن .. وإن كانت هناك فكرة تلح على وقد أقوم بتنفيذها فى أقرب فرصة . فهم لم يتركوا لى الخيار

وقطعوا عنى كل الطرق المستقيمة .
رجل ثانى : لى رأى لو أذنت لى يا سيدى
القاضى .

الهروى : نحن نفكر سويا .. وكل رأى من الممكن
أن يكون مفيدا .

رجل ثانى : أرى أن نتصل بالحشاشين .. فهم أقدر
الناس على الحركة والمقاومة .

رجل رابع : نعم .. لقد أثبتوا فى أكثر من مناسبة
شجاعتهم وجلدهم .

رجل ثانى : أنهم حماة الدين فى هذا العصر الذى
استكان فيه كل الناس .

امراة تانية : سمعنا أنهم لا يخشون الموت
ويقتحمون أتون النار وكأنهم ذاهبون إلى الجنة .

رجل ثانى : أن زعيم الحركة الشيخ الحسن الصباح
فى قلعة ألموت .. لكن رجالهم فى كل مكان وقد حدثنى
رجل من دمشق بأنه على صلة بهم .

رجل ثالث : أنهم يفكرون مثلنا يا سيدى القاضى ..
ولديهم نفس الغيرة على أمتنا وديننا .. وأنا على ثقة أننا
سنتفق على ما يجب أن نفعله .

الهروى : من الواضح أنكم تناقشتم فى الأمر وأنكم

متفقون فيما بينكم ..

رجل أول : نعم يا سيدى .. فقد شعرنا منذ أن تركنا
باب قصر الخليفة أنك ساهم لا تتحدث وأنتك أصبت
بخيبة أمل شديدة لسوء الاستقبال الذى لاقيناه هناك .
امرأة أولى : فحاولنا أن نجد مخرجا نعرضه
عليك .

رجل ثانى : وقد وجدت كلام الدمشقى الذى التقيت
به اليوم مقنعا وأكد أن الحشاشين عرفوا بوجودنا هنا
وأنهم راغبون فى الاتصال بنا . ومن الممكن أن نستفيد
منهم لتحريك الأمور .

(صمت . الكل ينظر إلى الهروى) .

رجل ثانى : ما رأيك يا سيدى ؟

الهروى : أنتم لا تعرفون من هم الحشاشون .

امرأة أولى : ماذا تقصد يا سيدى القاضى ؟

الهروى (بعد لحظة صمت) : لقد نجحوا فى أن

يخلقوا حولهم هالة وضاعة مثلهم مثل كل من يتخذ الدين

شعارا ويتمسح فى رحاب القرآن الكريم . لكن الواقع

مخالف لهذا المظهر الخارجى البراق .

امرأة ثالثة : وما هو الواقع ؟

الهروى : الواقع أن الدين بالنسبة للحشاشين تجارة

رابحة يستخدمونها لتنفيذ أهداف سياسية لا علاقة لها بالإسلام . فهم يدعون الدفاع عن الإسلام ضد من يريدون اقتلاع ديننا من على وجه الأرض .. أليس كذلك ؟

رجل أول : نعم .. هذا ما يقولوه .

امرأة ثانية : وهو ما نعرفه عنهم .

الهروى : لكنهم لا يقتلون إلا العرب والمسلمين ولا تظهر شجاعتهم إلا على بنى جنسهم .. أنهم يعتبرون أن الخطر على الإسلام يأتي من المسلمين أنفسهم وليس من أعداء الإسلام الذين يتربصون بنا في وضوح النهار . يعتبرون أن المسلم الذى لا يوافقهم فى فهمهم الضيق للدين أخطر على الإسلام من الفرنجة . وفى قلعتهم الحصينة الموت قائمة يسمونها قائمة الشرف .

رجل رابع : نعم .. إنها قائمة أعداء الإسلام ..

وما الخطأ فى هذا يا سيدى ؟

رجل ثانى : أنهم يتخلصون ممن يخالف شريعة

الله .

الهروى : وهل تعرف ما الأسماء المحفورة فى

هذه القائمة يا أيها الرجل الطيب ؟ أنها أسماء عربية

وإسلامية .. ولا يوجد بها اسم واحد من أسماء
الفرنجة .. اسم واحد يوحد الله .. وهل تعرف من الذى
يتصدر قائمة الشرف ؟ أنه نظام الملك .

رجل ثانى : هذا رجل كافر يستحق القتل .

الهروى : ومن الذى قرر هذا ؟

رجل ثانى : الحسن الصباح زعيم المجاهدين
الحشاشين .

الهروى : ومن خوله حق إهدار دماء الناس ؟ من
أعطاه حق التحكم فى رقاب عباد الله ؟ هل شق قلب
الرجل ليعرف ما بداخله ؟ أنها شريعة الغاب التى
لا يمكن أن أقبلها أبدا . ولعلمك فإن الصباح لم يأمر
بقتل نظام الملك إلا لأسباب سياسية ولخلافات شخصية
قديمة عندما كانت بينهما منافسة دنوية شرسة فى بلاط
السلطان ملكشاه وانتصر الوزير نظام الملك فى النهاية
وظفر بالثقة الكاملة للسلطان . إن الإسلام بالنسبة
لهؤلاء الحشاشين عباءة يتسترون بها لتنفيذ مآربهم
الدنيوية التى لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد .
رجل ثانى : يا سيدى أنهم يستهدفون بتر آفة الكفر
من أرض الإسلام حتى نكون أقدر على مقاومة أعداء
الخارج .

الهروى : وهل وصلت بكم السذاجة حد تصديق
هذه الحجج المضحكة ؟ من يريد الجهاد حقا فليحسن
فى عمله ويتقنه ولا يظهر الشجاعة على بنى جنسه فى
الوقت الذى يجبن فيه من مواجهة عدوه الحقيقى الذى
يجهر بنواياه العدوانية . إما أن تتحول دار الإسلام إلى
محاكم للتفتيش فى الضمائر فهذا جديد علينا وأخشى أن
يكون نهجا يظهر من حين لآخر فى عصور الانحطاط
والشك بالذات .

رجل أول : يا سيدى القاضى ...

الهروى : يا إخوانى .. لا وقت للسفسطة بينما
عدونا يتحرك ويتقدم ويحكم السيطرة علينا .. فإن
رأيتم الاتصال بالحشاشين فأنتم أحرار فى ذلك طبعاً ..
لكن لا تعتمدوا على فى أن أضع يدي فى يد من
يرهبون الناس باسم الدين .

امراة ثانية : لا يا سيدى القاضى .. لا تتركنا .

رجل أول : لا يا مولانا .. نحن لا نساوى شيئاً
بدونك ..

امراة أولى : إنما كنا نعرض فكرة تقبلها
أو ترفضها .

رجل ثالث : إذا أردت أن تتركنا فلن نتركك نحن .

امرأة ثالثة : لكن قل لنا ما الذى يمكن أن نصنعه الآن .

رجل رابع : لقد أصبحت كل الأبواب موصدة فى وجوهنا .

الهروى : غدا بإذن الله سنذهب لصلاة الظهر سويا ..

رجل ثانى : وندعو الله أن يستجيب لنا .

الهروى : لا يستجيب الخالق عز وجل لدعاء إلا إذا بذل العبد الجهد اللازم لتحقيقه وكان أهلا لذلك بخلقه وتصرفاته .

رجل أول : ألسنا أهلا لما نطلبه يا سيدى ؟

امرأة أولى : أن مطلبنا الوحيد ليس مطلبنا شخصا وإنما هو من أجل صالح أمة العرب والإسلام .

الهروى : غدا سترون ما فكرت فيه وقررت أن أنفذه بعد أن أنسدت كل السبل فى وجوهنا .

امرأة ثانية : وهل سنستطيع لقاء الخليفة يا سيدى القاضى ؟

الهروى : سنفعل ما علينا .. والتوفيق من عند الله عز وجل ..

المشهد السابع

(الهروى يجلس فى أكبر ميادين بغداد وحوله
الفارون من القدس ويمر أمامهم الناس لتلبية نداء
المؤذن الذى يتلو آذان الظهر فيسرع الناس فى
خطاهم للحاق بالصلاة) .

رجل ثالث : يا شيخنا الجليل لماذا تجلس هكذا ؟ قم
بنا إلى داخل المسجد وسنصلى وراءك .
رجل رابع : وندعو الله عز وجل أن يأخذ بيدنا فى
مهمتنا العسيرة .

امرأة أولى : وأن يجعل القبول فى قلوب أولى
الأمر فى بغداد .

امرأة ثالثة : وعلى رأسهم الخليفة المستظهر أعزه الله وسدد خطاه .

رجل ثانى : لا أدري لماذا يرفض التحرك .

رجل ثالث : ويرفض الاجابة علينا .

رجل أول : تماما كما فعل بالأمس .

امرأة أولى : ماذا نفعل هنا يا سيدى ؟ ستفوتنا الصلاة إذا تباطأنا أكثر من هذا لماذا لا ندخل المسجد ؟

رجل رابع : ربما يريد سيدنا الصلاة بنا هنا خارج الجامع ليثبت للجميع إننا لا نرضى عن عدم اكترائهم بما يحدث خارج بغداد وعدم إدراكهم لخطورة ذلك عليهم وعلى أمة العرب والمسلمين .

امرأة ثانية : وأنا أوافق على هذا . ليأمننا الشيخ الجليل هنا فى هذه الساحة حتى يعلم الخليفة المستظهر بالله أن الدين ليس تجارة وأن من يتمسك بالدين ينبغى أولا أن يتشبت بالأخلاق .

رجل أول : وبنصرة أخيه فى الحق والعدل وليس فى البغى والطغيان .

رجل ثالث : هيا بنا يا أماننا الجليل ونحن معك فى كل ما ستفعله .

(الهروى يخرج لفة من سترته ويفاجأ الجميع بأنه يخرج طعاما ويبدأ فى الأكل بهدوء شديد) .

رجل ثانى : ما هذا يا سيدنا ؟ أنسيت أننا فى رمضان ؟

رجل أول : ماذا تفعل يا سيدى ؟ أنت تفطر هكذا فى العلى والمؤن يؤن لصلاة الظهر ؟

امراة ثانية : ألا تعلم جزاء من يفطر فى العلى ؟

رجل رابع : ما معنى هذا يا سيدى القاضى ؟
(البعض من المتوجهين إلى المسجد يتنبهون لما يحدث) .

رجل من بغداد : ما هذا المجنون .. أنه يفطر .
آخر : أنت يا رجل .. هل أصابك مس من الجنون ؟

آخر : أين حرس السلطان . يجب أن يلقى هذا الكافر جزاءه .

رجل رابع من بغداد : بل يجب ألا ننتظر حرس السلطان .. علينا أن نقيم عليه الحد بأنفسنا .

رجل ثالث : انتظروا .. أنه أحد شيوخ الإسلام ومن كبار علماء ديننا الحنيف .

أحد سكان بغداد : لا يهمنا من هو .. شريعة الله على الجميع .

رجل من بغداد : أين حرس السلطان ؟

(الحرس يقتربون بسرعة والهروى مستمر فى تناول الطعام) .

قائد الحرس : أنت أيها الشيخ المعتوه ما الذى تفعله ؟ قم على الفور وإلا قطعت رقبتك فى الساحة .
امرأة أولى : انتظروا .. انتظروا .. ألا تعرفون من هذا الشيخ الجليل ؟ إنه القاضى أبو سعد الهروى قاضى قضاة دمشق .

رجل من بغداد : القاضى الهروى ؟ مستحيل ..
هذه المرأة مخرفة .. فالقاضى الهروى يعلم الناس الدين الصحيح .

آخر : لا يمكن أن يجهر القاضى للهروى هكذا بالافطار .. نحن نسمع أنه من أكبر دعاة الإسلام .
آخر : ومن أشد المدافعين عن ديننا .

قائد الحرس : أحقا أنت قاضى قضاة دمشق الذى ينحنى الجميع لعلمه . إن كنت هو فما الذى دفع بك إلى ارتكاب هذه المعصية الكبرى ؟ أجب يا رجل وإلا اضطررت إلى معاملتك بأسلوب آخر .

(المتجمعون من أهل بغداد يصيحون) :
لا تجادلوه . أقيموا عليه الحد مهما كان أمره . دقوا عنقه ..

آخر : أنه كافر والعياذ بالله . الموت للكافر ..

(صِيحَات تَنْطَلِقُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) : الموت
للكافر ..

الهروى (يقوم من جلسته ببطء ويقف فوق
مسند صغير وضعه تحت قدميه) : يا أيها الناس ..
أراكم حريصين على دينكم .. غيورين على تطبيق
حدود الله .

أحد سكان بغداد : لا يجب أن نسمعه .
الهروى (يكمل كلامه وكأنه لم يقطع) : لكن
حماسكم الجارف ينصب على شيخ أعزل أفطر في
الشهر المبارك وعقابه عند الله أولاً قبل أن يكون عند
البشر . أراكم قد انتفضتم في حماسة وأتفقت كلمتكم
جميعاً لتوقيع الحد على شخصي الضعيف .

رجل من بغداد : لا تسمعوه .

آخر : اسكت أيها الزنديق .

الهروى : أراكم قد تركتم الصلاة والتفتم من حولي
لأنني خالفت أوامر الله عز وجل جلاله في علاه .
ولأنني أدعو الناس منذ عشرين عاماً إلى طاعة الله
وإلى البعد عن المعاصي وإلى الالتزام بكل ما أنزل
خالق الأرض والسماء فأنا سعيد لما تفعلون .

رجل من بغداد : ماذا يقول ؟ لا أفهم ما يقصد ..

الهروى : لكن ما يحزننى هو أنكم تتصدون لأمر هو بين العبد وخالقه .. أمر يحاسب عليه الله يوم القيامة دون أن ندرى شيئاً عن معايير حسابه فهو العليم القدير .. أمر يضر العاصى الذى يرتبك الإثم ولا يضر أمة الإسلام .. لكنى لا أراكم تظهرون نفس الغيرة أو ذات الحمية حين يتعلق الأمر بنصرة أمة العرب والمسلمين وبتقديم العون لآخوانكم وأخواتكم الذين يعانون من المحنة . ألم تعلموا أن قدس الأقداس .. بيت المقدس قد سقط بين أيدي الفرنجة .. درة الكون لم تعد بين أيدينا . سرّة الأرض انتزعها الفرنجة من أمة العرب والإسلام فى غفلة من الزمان . المسجد الأقصى صار كنيسة يصلّى فيها الفرنجة ولم تعد كلمة الله تنطلق بين جدران الشريفة . جامع عمر سلب ونهب ومن يدرى ربما يصل بهم مس الجنون وفورة الانتقام إلى هدم بيوت الله . فمن تحرك منكم لهذا ؟ من أدى واجبه لتخليص بيت المقدس من أيدي المعتدين ؟ لقد تارت تأثرتكم عندما رأيتونى أتناول الطعام . فهل إفطارى فى رمضان أخطر على أمة الإسلام من سقوط بيت المقدس ؟ هل أختلت الأوليات فى عقولكم وضمائركم إلى هذه الدرجة ؟

رجل من بغداد : القدس تابعة للدولة الفاطمية فلماذا

لا تذهب إلى أولى الأمر بها لتشكو حالها ..
آخر : نعم هم الذين تركوها تسقط بين أيدي الفرنجة
وتقاعسوا عن أداء واجبهم .

الهروى : هل أختفت النخوة من قلوبكم إلى هذا
الحد ؟ ألا تعلمون ما حدث لأخواتكم نساء القدس
وبنائها ؟ ألا تعرفون ما فعل بهم الفرنجة أم تريدون أن
أفصل لكم ما أقصد ؟ ألا تعرفون أنهم اعتدوا على
أعراضهن . أليس في ذلك مساس بشرفكم
وبرجولتكم ؟ كم فتاة أخفت وجهها حياء وراء يديها
وهي تقع في السبي وتباع في سوق الرقيق الأبيض ..
انظروا إلى أخوانكم الهاربين من مذبحة القدس ..
انظروا .. إياهم كالموتى الأحياء .. لقد رأوا شبح المنية
بأعينهم وأزكمت أنوفهم رائحة الموت .. هذا هو
المصير الذي ينتظركم وينتظر نساءكم إن لم تتحركوا
الآن .. دون حجج واهية ودون غرس رؤوسكم في
الرمال .

(صمت من الجميع يقطعه صوت قائد الشرطة
بعد قليل) .

قائد الشرطة : أيها الشيخ لا شأن لنا بكل هذا .
فهذه الأمور من مسئولية أولى الأمر . أما أنا فمن

واجبى الآن أن أصطحبك إلى رؤسائى ليبتوا فى أمرى .. صحيح أنك قاضى قضاة دمشق وشيخ جليل من شيوخ الإسلام لكن ما فعلته على مرأى من الجميع هو ذنب يقام عليه الحد .

أبو سعد : أتظننى أخشى شيئاً مثل هذا ؟ أن السوط الذى تهددنى به أهون على نفسى بكثير من الخناجر التى تمزق قلبى منذ أن علمت بمأساة سقوط بيت المقدس . لكنى لم أحضر إلى بغداد لأناقش أموراً فقهية فى وجوب الصوم وأجازة الإفطار ..

قائد الشرطة : ولماذا جئت إذا ؟

الهروى : جئت للقاء خليفة الإسلام والمسلمين مع هؤلاء الأخوة لنعرف ما سيفعله بالفرنجة وما سيقدره لإنقاذ أمتنا من الهلاك .. أليس هذا أهم وأنفع من قصة إفطار شيخ ضعيف مثلى ؟

رئيس الشرطة : لا تستدرجنى إلى موضوع غير موضوعنا .

الهروى : أريد أن التقى بخليفة المسلمين .

رجل من بغداد : بل ستذهب إلى السجن وتلتقى هناك بالسجان .

آخر : يبدو أنه مجنون .

(رجل مهيب يقترب وحوله حرس) : ما هذا :

ما كل هذه الضجة ؟

قائد الحرس : مولاي .. مرحبا بك يا مولاي ..
هذا الرجل أفطر منذ لحظات هنا أمام المسجد والمؤذن
ينادى لصلاة الظهر وهو يدعى أنه الشيخ أبو سعد
الهروى قاضى قضاة دمشق . فماذا نفعل به
يا مولاي ؟

عم الخليفة : أحقا ما يقول ؟ هل أجهرت بالافطار
أمام بيت الله ؟

الهروى : نعم .. فعلت ذلك .

عم الخليفة : ولديك شجاعة الاعتراف ..
ألا تعرف عقوبة ما فعلت يا رجل ؟ فإن كنت القاضى
الهروى حقا كما تدعى فكيف تأتى بما حرمه الله ؟
الهروى : أنا القاضى أبو سعد الهروى قاضى قضاة
دمشق .. وقد جئت إلى هنا على رأس فوج من
المهاجرين الذين هربوا من ديارهم لتقاعس المسلمين
عن أقدس واجباتهم وأهم فرائضهم وهى الجهاد فى
سبيل الله عز وجل .. الجهاد لا من أجل البغى
والعدوان أو الاعتداء على أحد إنما من أجل الدفاع عن
مقدسات ديننا وعن نساءنا وأطفالنا وشيوخنا . لكن يبدو

أن ما تفهموه عن الدين يختلف عما أفهمه أنا .

عم الخليفة : وما فهمك للدين إن كنت تستهزئ
بأهم أركان الإسلام . ألا تعرف مكانة الصوم في
صدارة تعاليم ديننا أيها الشيخ ؟

الهروى : حاشنى الله أن استهزئ بأقل ما يمس
دين الله من قريب أو بعيد .. لكن قل لى يا رجل
ما جدوى ركن الصلاة إذا فنى المسلمون من على وجه
الأرض ؟ من سيصلى لله إذا استمر الفرنجة فى
اكتساح أراضى العرب والمسلمين وغزوها وكأنهم فى
نزهة بربوع خالية من السكان ؟ من الذى سيلتزم
بالصوم إذا ذبح كافة المسلمين على يد الفرنجة وتنصر
من بقى حيا حفاظا على حياته ؟ ثم إنك عرفت من
أنا .. أما أنا فلا أعرف من أنت .

قائد الحرس : أنت تتحدث إلى مولاي جلال الدين
عم الخليفة المستظهر بالله أطال الله عمره .

الهروى : عم الخليفة .. عم الخليفة .. مرحبا بك
يا سيدى .. مرحبا بك .. لقد قطعنا طريقا شاقا وطويلا
لغرض واحد هو رؤية الخليفة والتشرف بلقائه . بالله
عليك يا سيدى ساعدنا فى هذه المهمة .. فرجال الخليفة
يحولون بيننا وبينه .

عم الخليفة : لماذا ؟ من حال بينكم وبين الخليفة ؟
الهروى : لا أعرف أسماءهم ولا يهمنى أن أعرفها .. لكن الحرس منعونا حتى من دخول القصر .
وعندما ألقينا في طلب لقاء الخليفة خرج علينا رجل تبدو عليه علامات الاستهتار واللامبالاة وقال لنا أن وقت الخليفة لا يسمح له باستقبالنا ثم طلب منى أن أدفع له مائة دينار حتى أستطيع المثل في حضرة المستظهر بالله أعزه الخالق .. فهل يرضيك ذلك يا مولاي ؟

عم الخليفة : ولماذا تريد لقاء الخليفة ؟ ما الذى تنتظره منه ؟

الهروى : انتظر منه الكثير يا مولاي .. انتظر منه أن يقول كلمته فتتهز ممالك العرب والإسلام وتستجيب لندائه وتهب لنصرة بيت المقدس . فسقوطه أكبر كارثة واجهها عالمنا منذ غاب عن دنيانا رسول الله وصعد لجوار الرفيق الأعلى . إن سقوط القدس هو قاع الهوة السحيقة التى تخرجنا إليها ويوم أسود لم

جلال الدين : لا تهول الأمور يا رجل .. أنت تتحدث وكأن الحياة قد توقفت بعد سقوط القدس .. وأشعر وأنا أسمعك كأنه قد نفخ فى الصور وأن القيامة

قد قامت .. فاهداً قليلاً لأننى لا أفهم ما تريد وأنت فى هذا الحالة .. ومن هؤلاء الذين معك ؟ هل هم جنودك لتحرير القدس ..

الهروى : لا يامولاي .. بل هم الناجون من أكبر مجزرة عرفها العرب والمسلمون منذ ظهور الإسلام . أنهم أهالى القدس الذين حفظهم الله من المذبحة ليكونوا شهوداً أحياء على ما حدث وحتى لا يأتى من يهون من المأساة ويدعى أن الأمر أقل بشاعة مما يقال .
جلال الدين : إذا فقد أفطرت أمام المسجد لجذب الانتباه .

الهروى : لم أجد وسيلة أخرى يا مولاي لتحقيق غرضنا .. وأرى أن الله قد استجاب لنا فمررت أنت لتنفذنا مما نحن فيه وتصبحنا إلى الخليفة .

جلال الدين : ومن قال لك أنى سأفعل ذلك ؟

الهروى : لابد يا سيدى .. لابد .. صدقنى . الموقف خطير والأعصار الذى هب على بيت المقدس لن يرحم بغداد وسيدرككم خلال شهور أو ربما سنوات .. لكنه سيدرككم بالتأكيد إن لم تنتبهوا من الآن وتتخذوا التدابير لوقف زحف الفرنجة .

جلال الدين : كلامك لم يقنعنى .. ولكنه أثر فى .. سأصطحبك بالفعل للقاء الخليفة . لكن عليك أن تزن

كلامك أمامه وألا تعطى له مثل هذه الصورة القائمة
لأحوال المسلمين . فهو لم يسمع منذ شهور سوى
أخبار تشيع الغم في النفس .

الهروى : لن أقول له إلا الحق .

جلال الدين : لا أشك في ذلك .. لكن الحق له عدة
أوجه .. فأرجو إلا تختار أقبحها لتقذف به في وجه
ال خليفة .. فهو عادة لا يلتقى بالغرباء وسأجعله يكسر
هذه القاعدة من أجلكم فلا تجعلني أندم على هذا .

الهروى : بارك الله فيك يا مولاي .. سينكر لك
هذا الموقف .

جلال الدين : إذا .. أتبعوني إلى القصر وسأمر
الحرس بإدخالكم .



المشهد الثامن

(قاعة ضخمة فى قصر الخليفة . مظاهر البهجة
والثراء واضحة فى كل ركن من الأركان . رجال
يجلسون على أرائك وكراسى مريحة فى حالة مرح
وانسجام . يدخل عم الخليفة ووراءه الهروى ثم سكان
القدس) .

جلال الدين : انتظرونى هنا .. سأحدث مع أمير
المؤمنين فى شأنكم وأرجو أن يقتنع بأهمية لقاءكم .
(يخرج جلال الدين . الهروى يتأمل المكان
والموجودون ينظرون إليه وإلى من معه باشمئزاز
واضح) .

أحد الجالسين : من هؤلاء ؟ ومن سمح لهم بدخول
القصر ؟

آخر : لقد دخلوا برفقة مولانا جلال الدين .
الهروى (يتوجه فجأة بالحديث إلى الجالسين) :
كيف تطيقون هذا العيش الرغيد والتنعم بمفاتيح الدنيا
بهذه الصورة وأخوانكم في القدس وفي الشام قد نبحوا
والنساء قد استبحن ؟ كيف تنامون بعيون مطمئنة وقد
دنس العدو أرضنا الطاهرة وداس على محرماننا وحول
مساجد الله إلى كنائس ؟

أحد الحاضرين : اسكتوا هذا المخرف على
الفور ..

آخر : من أين خرج لنا هذا المجنوب ؟
آخر : أتعلم أمام من تتحدث أيها الشيخ ؟
الهروى : لا أعرف .. ولا يهمنى أن أعرف ..
كل ما أعرفه أنني أقف أمام من تقاعسوا في أداء
واجبهم إزاء أمتهم .. أقف أمام من ساهموا بعزوفهم
أو جهلهم أو سلبيتهم إلى الحال المخجل الذي وصلت
إليه أمتنا . ألا تعلمون ما حدث لأخوانكم في العروبة
والإسلام أم أنكم تتعامون عمدا خوفا من تحمل
مسئولياتكم وهربا من مواجهة واجبكم ؟

الوزير : من هذا الرجل ؟ ومن الذى أدخله إلى
القصر ؟

آخر : إنه أبو سعد الهروى قاضى قضاة دمشق ..
وقد جاء مع بعض سكان القدس إلى بغداد أملا فى
معاونتهم على تجاوز محتتهم .

الهروى : لقد مررنا قبل دخولنا هذه القاعة على
أماكن لم يكن يخطر ببالى أنها توجد على وجه
الأرض .. كنت فى أقصى شطحات خيالى أتصورها
موجودة فى الجنة التى وعد بها الله الصالحين مكافأة
على تقواهم فى الدنيا . فما كل هذه الحقائق الغناء
والطيور المغردة وأصناف الببغاوات والصقور
والنسور وشلالات المياه العذبة ؟ ما كل هذا الحرير
والذهب والياقوت والماس فى كل مكان ؟ ما كل هذا ؟
الوزير : وما سر اندهاشك أيها القاضى ؟ هل
يعيش الملك دقاق بكوخ فى دمشق ؟

الهروى : يعيش فى قصر .. لكن أحقر ركن من
أركان هذا المكان يفوق بمراحل أجمل قاعة من قاعات
الملك دقاق .

الوزير : إنه الفرق بين ملك إحدى المقاطعات
وخليفة المسلمين يا رجل ..

الهروى : لكن من يعيش فى هذا البذخ الزائد عن الحدود لا يمكن أن يشعر بما يحدث خارج محيط جنته وربما تصور أن الدنيا كلها هكذا وأن من يشكو بالخارج ما هو إلا جاحد طماع .

وزير الخليفة : هدىء من روعك أيها القاضى .. أنا وزير الخليفة .. ولقد سمعنا عنك وعرفنا قصتكم .. لكنك لن تستميل أحدا إلى جانبك بهذا الأسلوب . فقلوبنا معكم .. لقد عشتُم مأساة مروعة لابد أن تصيبكم بصدمة كمن أرتطم وجهة بحائط صلد وهو يسير آمنا فى الطريق . كلوا وأشربوا حتى تستريحوا من عناء سفركم الشاق ثم تجلسون فى حضرة الخليفة نصره الله تعالى حتى يقرر ما سنفعله لمواجهة هذا الموقف العسير .

القاضى الدامغانى : لقد نجحتم فى تحريك قلوبنا وتأليب المواجه علينا بمظهركم وسنرى ما الذى يمكن أن نفعله من أجلكم .

الهروى : لم نحضر إلى هنا لاستدرار عطف أحد .. لم نتجشم مشقة سفر طويل عانىنا فى كل لحظة منه تحت قيظ الشمس لنسمع مثل هذا الكلام الأملس والعبارات المعسولة .

الوزير : من الواضح أنك موهوب فى استعداد

الناس عليك وفي تنفيرهم من قضيتك . القاضي
الدامغاني قاضي بغداد يقول لك أنكم نجحتُم في تحريك
قلوبنا فيكون هذا ردك ..

سليمان : نقول لك أننا لسنا ضدك يا رجل .

الهروي : نحن جئنا إلى بغداد لسمع منا أمير
المؤمنين رمز أمة الإسلام وأمل رجالها ونسائها
وشيوخها وأطفالها . لقد أصيبت بلادنا بالشلل وشعوبنا
بالعقم . لم نعد قادرين على مواجهة البلاء الذي جاءنا
من الشمال بعد أن قام أسلافنا بتأديب الكفار في كل
مكان على مر الدهر .

أما اليوم فمدننا تتساقط بين أيديهم كأوراق الشجر
ونبكي عليها حيارى عاجزين . لم يعد هناك أي رابط
ولا وازع يحرك رجالنا للدفاع عن أوطانهم ربما لسبب
بسيط وهو أنهم يشعرون أنها ليست لهم وأنهم غرباء
فوق أرض وطنهم .

القاضي الدامغاني : يبدو أنك تعاني من مشكلات
في دمشق .. ما هي علاقتك بالملك دقاق .. من الممكن
أن يتدخل الخليفة ليتوسط لك عنده .

الهروي : لم أحضر إلى هنا لحل مشاكلي
الشخصية .. ألا تفهمون .. هل أصابكم عَمى القلب

بعد أن أبتليتُم بعمى البصيرة ؟ ألا تشعرون بما يحدث . إننا نواجه النكسة وراء النكسة . لقد سقطت طليطلة في سطوة الأعداء ووقعت جزيرة مالطة بين أيدي النورمان .. وضاعت انطاكية .. واليوم سقطت أغلى درة في ديار الإسلام .. سقط ثالث الحرمين ومسرى رسول الله والقبلة الأولى التى صلى إليها الرسول والمسلمون من ورائه .. بيت المقدس انتزع منا وأبيد أكثر من سبعين ألف إنسان كانوا يعيشون تحت سمائه . يالهفتى على هؤلاء الشهداء .. لقد كان من بينهم بعض من خيرة أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم فارقوا أوطانهم من أجل مجاورة الموضع الشريف .

سليمان : لا تصرخ هكذا يا رجل .. أنت لا تخطب في ساحة بالطريق العام فتسعى لاستثارة غرائز الغوغاء .. أنت تتحدث أمام سادة البلاد وصفوة مجتمع بغداد عاصمة العرب والإسلام . ألا تدرك ذلك ؟

الهروى : نعم .. أدرك ذلك .. وأدرك الآن سبب محنتنا .. لقد أصبحنا جثة مترهلة مخدرة الاحساس .. لم يعد هناك أمل إلا في خليفة رسول الله لإخراجنا من هذا الوضع المشين . أين هو ؟ أين المستظهر بالله ؟

لم نعد قادرين على الانتظار .

الدامغانى : تقصد لم تعد قادرا .. فالذين معك فى غاية الهدوء ويعرفون آداب التصرف فى مثل هذا الموقف .. فلا تنس أنك فى قصر خليفة المسلمين .

الهروى : اعلم ذلك يا سيدى .. ولكن

(يدخل جلال الدين فيتركز اهتمام الهروى وأهل القدس عليه) .

جلال الدين : سيستمع إليكم أمير المؤمنين ..

(يقترب من الهروى ويخفض صوته) : لكن لا تنس ما اتفقنا عليه ..

(يدخل حارس مسرعا ويصيح) : أمير المؤمنين .

(يدخل الخليفة .. الكل ينحنى . بعض سكان القدس يصيحون : الله أكبر) .

الوزير : مرحبا بمولاي أمير المؤمنين .. ادعو الله أن تكون قد أسترحت ونعمت بنوم هادئ .
الخليفة : أحمد الله . ما أهم أخبار اليوم أيها الوزير ؟

الوزير : لا شئ يسترعى الاهتمام يا سيدى .. بعض الشعراء مستعدون بقصائد يلتمسون منك أن تستمع إليها .

الخليفة : لا بأس . وماذا عن أهل القدس الذين حدثنى عنهم الأمير جلال الدين ؟
(ينظر إلى أهل القدس .. فيتقدم ناحيته الهروى) .

الخليفة : أنت القاضي الهروى ؟
الهروى : نعم يا أمير المؤمنين .. وقد تكبدنا مشاقا مجهدة لنيل شرف المثل في حضرتكم .. لكن كل ما عانيناه قد محى الآن في لحظة واحدة ودخلت إلى قلوبنا الطمأنينة والسكينة لمجرد ظهور طلعتك علينا .
الخليفة : سمعت عما فعلت للفت الأنظار .. لكن لا تعد إلى مثلها .. فبعض رجالى كانوا يصرون على توقيع العقوبة عليك .

الهروى : كانت الوسيلة الوحيدة للتشرف بلقائك يا مولاي .. والدليل على ذلك إننا هنا الآن بعد أن يأسنا من دخول القصر .

الخليفة : وما الذى يمكن أن أصنعه لكم ؟
الهروى : يا أمير المؤمنين أن أمتنا تتعرض اليوم لعاصفة تهدد باقتلاعها من الوجود .. لكننى لا أجد من يعى هذا الخطر بالقدر المناسب . فالأمراء والسلاطين همهم البقاء على عروشهم وقادتنا العسكريون يملكون

سلاحاً لا يقاتل إلا العرب والمسلمين لكنه عاجز عن مواجهة الفرنجة .

الخليفة : كيف لا تجد من يعي هذا الخطر ؟ أمامك القاضي الدامغاني قاضي بغداد وهو عالم من علماء الإسلام ومدرّك تمام الإدراك لكل ما يحدث .

الهروي : من المؤسف يا مولاي أن أكبر علمائنا منشغلون عن الكارثة التي نواجهها .

الدامغاني : كيف تقول هذا ؟ أن علماءنا لم يقصروا في شيء .

الهروي : أنهم لا يعبأون بالخطر الذي يتهدد أمتنا أو هم لا يستشعرونه وهو ألعن . فالعالم الحق هو الذي يستشرف المستقبل ويشعر بجلده ولحم جسده من أين يأتي الخطر المحقق بمجتمعه والعالم الحق هو من يختزل هموم الناس وتعيش محنة وطنه في قلبه ووجدانه ويشعر بها قبل كل الآخرين .

الخليفة : من الذي تقصده بهذا الهجوم اللاذع ؟
الهروي : لا أقصد أحدهم بعينه . فلا أرى واحداً منهم مهتم بالمصيبة التي نواجهها . أتدرى ما يكتبه أحد رؤوس العلم والفكر في أمتنا أمامنا الكبير الغزالي ؟ أتعلم أنه لم يقل كلمة واحدة في قضية غزو

الفرنجة الذى يكاد يودى بالإسلام ويكتب عن أدب اجابة الدعوة إلى الطعام موصيا ألا يتصدر المدعو فيأخذ أحسن الأماكن وألا يكثر النظر إلى الموضع الذى يخرج منه الطعام لأن ذلك دليل على الشره .
سليمان : ماذا تقول يا رجل .. ماذا تقول ؟ أتتهجم على أمامنا الجليل ؟

الوزير : كيف تريد من حجة الإسلام الغزالي أن يفعل بما يحدث وهو يعيش الآن فى طوس على بعد آلاف الأميال بعيدا عن الأحداث التى نعيشها نحن .. إنه الآن منكب على علوم الدين من أجل خير الإسلام والمسلمين .. أما عن الأمة الإسلامية فلها الله سبحانه وتعالى يحميها من كل الأخطار .. أم أنك تجادل فى هذه الحقيقة البديهية أيضا ..

الدامغانى : وماذا تعرف أنت عما يجول فى فكر أمامنا ؟ إن العلماء العظام من أمثاله لا يرون الدنيا كما نراها نحن .. فهناك أحجية أمام أبصارنا تمنع عنا صفاء الرؤية . أما هم فتنكشف عنهم الأحجية كلما اقتربوا من الله فيرون ما لا نرى ويسمعون ما لا نسمع .

سليمان : كيف تجترىء على أمامنا الجليل بهذا

الأسلوب الفج ؟ ثم ما الخطأ فيما يقول ؟ أنه يعلمنا آداب ديننا .

الهروى : هذا صحيح .. لكن الأجدى الآن أن يستخدم مكانته الضخمة عند الناس للدعوة إلى الجهاد من أجل استرجاع القدس .

سليمان : هذا ليس من شأنك .. أعطى دروسا لحجة الإسلام الغزالي .

الهروى : أنا لا أعطى دروسا لأحد .. ثم ما سر حماسك الدافقة ؟ هل أنت من العلماء ؟

الوزير : إنه الشيخ سليمان شيخ تجار بغداد .

الهروى : وما دخله بالعلم ؟ ولماذا يجادل فيما لا يعرف ؟ .

سليمان : وهل العلم حكر عليك يا رجل ؟

الهروى : لا .. ولكنى لا أجادل في تجارتك .. فأتارك لى ما تخصصت فيه وما أفنيت عمرى من أجله .

سليمان : وأنا أفهم منك فى هذه الأمور أيضا . فأنا بمالى أستطيع أن اشتري عشرة علماء من أمثالك ..

الهروى : لكنك لا تستطيع

الوزير : ما هذا يا سادة انتشاجرون فى حضرة

الخليفة .

امرأة أولى : يا سيدى القاضى .. اجئنا نتجادل فيما يكتبه أو لا يكتبه الإمام الغزالى أم من أجل إنقاذ بيت المقدس ؟

الهروى : معك حق .. يا امير المؤمنين لم نحضر إلى هنا إلا لشخصك .. فأنت القلب النابض لهذه الأمة وتنتظر منك سبيل الخلاص . نرجوك أن تتخذ القرار قبل فوات الأوان .

الخليفة : أى قرار وأى أوان ؟ أتظن أن سقوط بيت المقدس هو نهاية المطاف ؟ مالا تعرفه ولا يعرفه أحد هنا خبر بلغنى منذ لحظات .. جيش الأفضل شاهنشاه الفاطمى الذى خرج لانقاذ أورشاليم ووصل بعد أسبوعين من سقوطها فاجأه الفرنجة بالقرب من عسقلان وأنزلوا به هزيمة ساحقة دمرت الجزء الأكبر منه .

الهروى (يضع يديه على رأسه) : يا للخبر الأسود .

رجل ثانى : أنها مصيبة جديدة ..

الدامغانى : أى مصيبة يا أيها الرجل الساذج .. أعتبر هزيمة هؤلاء المارقين مصيبة ؟

سليمان : ستكون هذه الهزيمة مسمارا جديدا فى

نعش الدولة الفاطمية بإذن الله .

الهروى : ماذا تقولون . أوصل بنا الأمر إلى أن نفرح لهزيمة إخواننا على يد الأعداء ؟ ألا تدركون أنها هزيمة لنا جميعا .. يا مولاي أرجوك أن تزيج عنا هذا الكابوس . أتوسل إليك أن تتخذ قرارا فوريا يكسر هذه الحلقة المفرغة التى ستؤدى بنا إلى الجحيم .

الخليفة : وما الذى يمكن أن أفعله ؟ (ينظر إلى وزيره) أليس الأفضل أن ننتظر وصول السلطان برقيارق ؟

الهروى : أى سلطان يا أمير المؤمنين ؟ أنت خليفة المسلمين وكلهم يدينون لك بالسمع والطاعة . توكل على الله وأعلن التعبئة فى ديار العرب والإسلام فى كل مكان واعط الأوامر بقيام جيش ضخم يليق بالجيش التى فتحت العالم وطالما أرهبت أعداء العرب والإسلام .. إن كلمتك وحدها تكفى لاستنفار العرب والمسلمين فى كل مكان مهما أصابهم الشلل والعقم والتخلف . قل كلمتك يا مولاي .. أننا لا ننتظر إلا إشارة منك لنهب بكل قوتنا ونأكل أعداءنا بأسناننا ونسترد بيت المقدس ونعيد للعرب والمسلمين شرفهم وهيبتهم التى تبخرت بفعل انقسام كلمتهم وانقلابهم على

بعض البعض .

الخليفة : معك حق .. على أن اتخذ قرارا انتظارا
لعودة برقيارق . ولن اتقاعس عن الاضطلاع
بمسئولياتى .

الهروى : حفظك الله للعروبة وللإسلام يا أمير
المؤمنين .

الوزير : مولاي .. الموقف اليوم فى غاية
التعقيد .. ونحن منذ أكثر من عامين نرقب تحركات
الفرنجة ونتابع كل ما يفعلوه . وبطبيعة الحال فإنه
لا يمكن السكوت على الهزائم المتتالية التى منى بها
كليج أرسلان وياغى سيان وكل الملوك والسلاطين
الذين حاربوهم . لكن من الصعب أن نتخذ قرارات
حاسمة الآن دون أن نزن الأمور .

الدامغانى : نعم علينا أن نتروى . فالفرنجة لم
يجترئوا على الاقتراب من الأراضى التابعة لنا
يا مولاي .

الهروى : كيف تقول هذا ؟ إن كل أراضى العرب
والمسلمين تابعة لخليفة رسول الله .

الخليفة : هذا صحيح .. أين عبادة ؟

عبادة : أنا هنا يا مولاي .. رهن إشارتك .

الخليفة : أكتب يا عبادة .. أنتى أمرت أن تقوم

جماعة من حكماء ديار الإسلام بزيارة الأماكن المنكوبة
لموافاتي بتقرير واف عن الأوضاع هناك وعن أحوال
جيوش الفرنجة وظروفهم . أمرت أن يتوجه إلى الشام
كل من القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي
وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعد
الخلواني وأبو الحسين بن السماك . كم عدد هؤلاء
يا عبادة ؟

عبادة : ستة يا أمير المؤمنين .

الخليفة : حسنا .. هذا يكفي . وعليهم أن يتحركوا
غدا في الصباح وأن يعودوا في غضون شهرين على
الأكثر لإطلاعى على الموقف بكل التفاصيل .

الوزير : هذا قرار حكيم يا أمير المؤمنين . فعلينا
أن نتعرف على الوضع بوضوح قبل أى تحرك .
الدامغاني : نعم .. فالتسرع فى مثل هذه الأمور
أمر غير مطلوب .

الخليفة : أتحب أن تنضم إلى جماعة الحكماء يا أبا
سعد حتى نستفيد من خبرتك ومعرفتك بالمنطقة
وما جرى فيها منذ بدء غزو الفرنجة ؟

(صمت)

الوزير : أرى يا مولاي أن حماسته ستكون مفيدة .

فهو كالبركان الذى لن يهدأ إلا بفعل الحركة وبتفريغ ما بداخله من غليان .

الخليفة : لماذا لا تجيب أيها القاضى الهروى ؟
الهروى : لا أعرف ما أقول يا مولاي .. أشكر على ثقتك الغالية فهى شرف لى لكن هذا القرار الذى تفضلت باصداره هو آخر ما كنت أتوقعه .. فالمسألة ليست فى حاجة إلى مشاهدة وتقارير ورصد للأوضاع .. بل هى ليست فى حاجة إلى حكماء أصلاً .. كل ما نحتاج إليه هو تحرك سريع يبطل مفعول انتصارات الفرنجة وتقدمهم الساحق فى أراضينا .

الخليفة : تريدنى أن أتوجه على رأس جيش لإنقاذ بيت المقدس ؟ ولماذا تطلب منى أنا مثل هذا الطلب ؟ لماذا أنا ؟ بيت المقدس كان جزءاً من الدولة الفاطمية عندما وقع بين أيدي الفرنجة .. فلماذا لا تذهب إلى من يدعى الخلافة .. هذا المستعلى بالله فهو أولى بالدفاع عماه كان يملك . أجداده اغتصبوا السلطة بالقوة والقهر وادعوا نسباً شريفاً لا صلة لهم به من أجل الاستيلاء على العرش .. ثم انقضوا على بيت المقدس منذ عام ليضموه من جديد إلى مملكتهم متصورين أنهم بهذا سيتفوقون على الدولة العباسية لأنهم يمتلكون بين

أيديهم أولى القبلتين وثالث الحرمين .. لكن الله كان لهم
بالمرصاد وخيب آمالهم . فدعهم يتجرعون كأس المذلة
والخزي .. أم تريدني أن أنقذهم من محنتهم ليزدادوا
في بطشهم وتجبرهم ؟

القاضي : مولاي .. القضية أكبر من أى أشخاص
ومن أية منافسة .. ولو كان
الخليفة : أنا لا أتنافس مع أحد .. أنا خليفة رسول
الله وجدى الأعظم هو عم الرسول عليه الصلاة
والسلام ..

الهروى : وهذه المكانة الرفيعة التى لا تضاهيها
مكانة على وجه الأرض ليست مجرد شرف يتوج
رأسك وإنما هى مسئولية لها تبعات ثقيلة أولها الدفاع
عن حياة العرب والمسلمين وتأمين سلامة الأمة العربية
ضد أى عدوان وبسط الأمن والأمان فى ربوعها .
الخليفة : قلت لك أن ما حدث هو عدل إلهي
وعقاب من السماء لمن سلبوا ما لا حق لهم فيه وتربعوا
على عروش لا تؤهلهم لها أى شرعية . إنهم يستحقون
أكثر من هذا وادعوا الله أن يستفيدوا من هذا الدرس
ويستوعبوا مغزاه . والآن هل تريد أن تنضم إلى بعثة
استقصاء حقيقة الأوضاع فى المنطقة أم أن لك رأيا
آخر ؟

الهروى : أرجو يا مولاي أن تعفينى من هذه المهمة . فهذه البعثة ستعود دون نتيجة ولن يسمع عنها أحد فى التاريخ .. أما سقوط بيت المقدس وأما تخاذل أبناء هذا الجيل حكاما وشعوبا وأما انهيار روح الصمود وغياب النخوة والاعتزاز بالنفس فستظل نقاطا سوداء فى سجل أمة العرب وسيظل هذا العصر لحظة حزينة فى تاريخ أمتنا المديد .

الخليفة : كما تشاء يا هروى .. فهذا كل ما أستطيع أن أفعله .

الهروى : اسمح لى إذن يا مولاي أن التقى بالسلطان برقيارق وأناقشه فيما يمكن أن يصنعه .
الخليفة : أذهب وقابله إن أردت . لكنه ليس فى بغداد الآن ..

الهروى : سمعت أنه خرج على رأس حملة لمحاربة أخيه محمد الذى يسعى لدخول بغداد على رأس جيشه .

الخليفة : هذا ليس من شأنى .
الهروى : وهل محمد هذا أخوه حقا من دمه ولحمه .

الوزير : نعم .. وما وجه الغرابة فى ذلك ؟ فكم من الاخوة يختلفون فيما بينهم .

الهروى : يختلفون لدرجة الاقتتال ؟ يختلفون لدرجة تجييش الجيوش وشن الحرب على بعضهم ؟ الخلاف بين الأهل له حدود . ثم ألم يكن من الممكن تأجيل هذا الخلاف إلى أن تطرد الفرنجة من أراضينا ؟

الوزير : ألم يصل الحال بين دقاق ورضوان ملك حلب إلى درجة الاقتتال ؟ أليسا أشقاء من نفس الدم واللحم كما تقول ؟

الهروى : كنت أتصور أنها حالة شاذة .. لكن يبدو أنه أمر طبيعي في هذا العصر الهازل .

الخليفة : أنت لا تعجبك العجب يا أيها القاضي .. لا أدري كيف يتفاهم معك الملك دقاق . وهو أيضا ليس سهل المعاملة .

الهروى : أنه يتركنى أمارس عملى وأنا لا أطلبه بما لا يستطيع القيام به ..

الخليفة : ولماذا إذا تطالبنى أنا بتحقيق المعجزات ؟

الهروى : الملك دقاق حاكم متواضع من حكام ممالك هذه الأيام .. أما أنت ف خليفة المسلمين والسلطة الروحية العليا وأمل العرب والإسلام .. لكن يبدو أن عالمنا أصبح جسدا بلا روح وأنتى عشت فى وهم كبير

أفئق منه فى هذه اللحظة وكان ماردا جبارا لطمنى على
أم رأسى .

الوزير : كفى يا هروى .. لا تتناول على خليفة
رسول الله ..

سليمان : لقد تعدى هذا الرجل كل الحدود .
الدامغانى : لا تسكت عليه أكثر من هذا يا أمير
المؤمنين .

الخليفة : أخرج من القصر حالا قبل أن أمر
الحرس بطردك .

الهروى : لا داعى لهذا يا مولاي .. لا داعى ..
سأخرج لأنه لم تعد هناك جدوى من وجودى هنا .. ولم
تعد هناك فائدة من الكلام . سأخرج ولكن جمره الأمل
لا زالت موقدة فى قلبى بفضل هؤلاء الناس البسطاء
الذين يرفضون واقعهم المرير ويتمسكون بحلم غد
أفضل .. هيا يا إخوانى وبرغم بكل ما سمعتم إياكم أن
تستسلموا لليأس .

امراة ثانية : أبدا .. لن نستسلم لليأس يا سيدى
القاضى .

رجل أول : نعم .. لن نستسلم لليأس .
سكان القدس : (وهم يتوجهون للخارج وراء

الهروى (لن نستسلم لليأس .. لن نستسلم لليأس . لن
نستسلم لليأس ..

(يتوجه ناحية الباب ثم يتوقف عن الحركة فجأة
وفى نفس اللحظة تتوقف الحركة تماما على خشبة
المسرح مثلما تتوقف فى المناظر الثابتة بالسينما) .
الكورس : تقاتلوا أيها الأغبياء .. تنازعوا على
مصالحكم الضيقة .. اختلفوا على التفاهات وتشاحنوا
على مسمع ومرأى من العدو والصديق .. مزقوا
صفوفكم .. علموا أولادكم كيف يكرهون إخوانهم
ويخضعون للغريب .. استمروا .. يا أمة ضحكت من
جهلها الأمم .

ستار



المحتويات

الصفحة

شكر واجب	٣
الشخصيات	٤
● الفصل الأول - المشهد الأول	٧
المشهد الثاني	٩
المشهد الثالث	٣١
المشهد الرابع	٣٥
المشهد الخامس	٦٧
المشهد السادس	٧١
● الفصل الثاني - المشهد الأول	٧٥
المشهد الثاني	٧٧
المشهد الثالث	٩٥
المشهد الرابع	١٠٣
المشهد الخامس	١٠٩
المشهد السادس	١١٧
المشهد السابع	١٢٥
المشهد الثامن	١٣٩

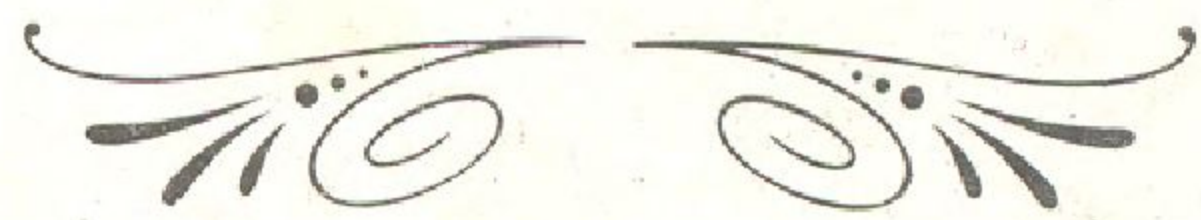
رقم الإيداع

١٩٩٥ / ٨٨٥٩



المؤلف :

- ١٩٦٧ تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة الفرنسية .
- ١٩٦٧ عمل محررا بوكالة أنباء الشرق الأوسط ثم بإذاعة القاهرة .
- ١٩٦٩ عمل محررا دبلوماسيا بمجلة المصور بالقاهرة .
- كتب التعليقات السياسية بالاذاعة وقدم نشرة الأخبار في التلفزيون المصري باللغة الفرنسية .
- ١٩٨٠ - ١٩٨٥ عمل بأمانة منظمة اليونسكو الدولية في باريس .
- من ١٩٨٥ مدير مكتب الأهرام في باريس .
- ١٩٩٢ صدر له كتاب بعنوان : « هل فرنسا عنصرية ؟ » .
- ١٩٩٤ أصدر مجموعة قصص قصيرة بعنوان : « الشيخ عبد الله » .



tx.
726
21
3

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0599183

